الفرصة تُصنع...
لا تُنتظر:

بادر، وشق طريقك
بنفسك...
وسيلحق بك الركب

دَليل الإِنطلاق نحو مشروع للأمة
يُغيِّر الواقع وَيَصنعَ أثرا باقِ

الدكتور جوتيار بامرنِـي

الفرصة تُصنع... لا تُنتظر:

بادر، وشق طريقك بنفسك...

وسيلحق بك الركب

دليل الانطلاق نحو مشروع للأمة يُغَيِّر الواقع ويَصنع أثرًا باقٍ

الدكتور جوتيار بامرني

ليست الحقوق محفوظة... بل الأجور مرجوَّة!

هذا البحث صدقة جارية...

فمن طبعه أو صوره أو ترجمه أو نشره،

فلعلّ الله أن يجعلها كلمةً تصل قلبًا، أو تفتح بصيرةً، أو تُحيي همّة.

انشره كما هو... دون تحريف أو زيادة أو نقصان،

ولا تنسَ أن في كل حرفٍ تهديه... أثرًا لا تراه، وأجرًا لا ينقطع.

لمن أراد نسخة للطباعة فليتواصل عبر البريد:

bamarni@gmx.de

الطبعة الأولى:

1447هـ – 2025 م

تصميم الغلاف: آڤا بامرني

إلى شرارات تصنع الأثر...

إلى من آمن أن رسالته لا تنتهي برحيله... وأن أثره يبدأ بعد موته.

وإلى **فلذات كبدي، أبنائي وبناتي**...

أنتم الامتداد والوعد بأن الشرارة لن تنطفئ.

إلى الذين صحبتهم يومًا، فاشتعلت فيهم شرارة الإلهام حتى صاروا قدوات وملهمين.

وإلى أبناء أمتي... أنتم النبض والوقود، وبكم يحيا الطريق ويستمر الأثر.

هذا الكتاب لكم...

لكل من أيقن أن شرارة صغيرة قد تُشعل نورًا يبدِّد عتمة أمة، ويغيِّر وجه التاريخ.

عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قال:

"إنِّي لأكرَهُ أنْ أرَى أحدَكم فارغًا سبَهلَلًا لا في عملِ دُنيا ولا في عملِ آخرةٍ."

إعلان حالة طوارئ

هذا الكتاب **ليس** لأصحاب القلوب الضعيفة...

وليس لمن يهوون البقاء في مناطق الراحة، أو ينتظرون أن يأتيهم التغيير ملفوفًا بشريط هدايا...

وليس لأولئك الذين يقيسون أحلامهم بميزان رواتب آخر الشهر، وهمّهم لا يتعدى بطونهم، أو يسيرون في الطابور خلف القافلة دون أن يعرفوا حتى إلى أين تتجه.

إن كنت لا تريد التغيير مقدمًا، أو لا تملك الشجاعة للمجازفة، فتخلّص من هذا الكتاب الخطير الآن... أو أعطه لشجاع طموح.

لأن ما ستقرأه سيزعجك...

سأفسد عليك راحتك...

وسأدفعك لأن ترى العالم بشكل مختلف...

لن تجد راحة بعد اليوم.

إن قررت الاستمرار في القراءة، فلا تلومن إلا نفسك، فأنت تختار أن **تحرق السفن** خلفك، وألا تعود أبدًا إلى حياة الانتظار والتسويف والملل والانشغال بالسفاسف.

ستعلّق الأجراس على أبواب مشروعك، ليعرف كل من حولك أنك بدأت السير نحو القمة.

ستضع نفسك على طريق لا رجعة فيه... طريق الشجعان، الذين لا ينتظرون إذنًا ولا فرصة، بل يصنعونها بأيديهم.

هذا الكتاب **دليل عبور** إلى القمم، لكنه ليس مسارًا ممهدًا؛ إنه ممرٌّ وعِر، مليء بالمنعطفات الحادة، لا يقطعه إلا من يملك العزم على القفز فوق الحواجز وكسر القيود المصطنعة الوهمية.

ستجد فيه كلمات قد تكون أشبه بالصفعات على وجه التردد، وستقرأ أفكارًا قد تهز قناعات كنت تظنها راسخة.

سترى بوضوح أن الطريق نحو القمة يبدأ من خطوة واحدة... لكنها خطوة جريئة، قد تغيّر مسار حياتك للأبد.

وعدتك أن أقدم لك أفكارًا لن يخبرك بها أحد ليضيع وعدا في المقدمة

اتفاق شرف مع القارئ

قبل أن تفتح الصفحة التالية... توقّف.

خذ نفسًا عميقًا، وفكّر: هل أنت مستعد فعلًا لأن تغيّر حياتك؟

إن موافقتك على قراءة هذا الكتاب ليست تسلية عابرة، بل **تعهد شرفي** أنك ستعمل على تحويل ما تقرؤه إلى أفعال ملموسة، وأنك لن تترك الأفكار حبيسة الورق.

بقراءتك لهذا الكتاب، أنت تلتزم بما يلي:

1. **أن تحترق من أجل التغيير** لا أن تنتظر الظروف، بل تصنعها بيدك.
2. **أن ترفع سقف طموحاتك** حتى يصبح مشروعك أكبر منك، وأبقى منك.
3. **أن تتحرّك فورًا** لا تؤجل التنفيذ إلى "وقت أفضل" قد لا يأتي أبدًا.
4. **أن تقاوم التردد والخوف**، وأن تعتبرهما أعداء مشروعك الأولين.
5. **أن تستثمر وقتك ومالك** فيما يترك أثرًا حقيقيًا، لا في اللهو والاستهلاك الفارغ.
6. **أن تكتب خطواتك الأولى** فورًا، وتبدأ بها قبل أن تصل إلى منتصف هذا الكتاب.

هذا الاتفاق بينك وبين نفسك، وبينك وبين من سيستفيدون من مشروعك في حياتهم ودينهم ودنياهم.

تعهد القارئ: أتعهد أن أقرأ لأعمل، وأن أتحرك اليوم لا غدًا، وأن أجعل من هذا الكتاب نقطة انطلاق لمشروع يغير حياتي ويخدم أمتي.

توقيع القارئ_____ :

تاريخ البدء_____ :

هذا الكتاب خارج المألوف... انظر ماذا ينتظرك:

- كيف تحوّل شرارة الفكرة إلى خطة واضحة ومشروع حيّ.
- لماذا يضيع العمر بين المدارس والشهادات... وكيف تستعيد أجمل سنوات عطائك.
- السر الذي يجعل حماستك تتحول من فوضى إلى أثر باقٍ.
- كيف تستثمر يومك ومالك ليصبحا مصنعًا للأحلام والمشاريع.
- قصص واقعية لرجال ونساء صنعوا الفرصة ولم ينتظروها.
- خارطة طريق عملية من الفكرة... إلى الخطة... إلى التنفيذ... إلى الأثر الذي يبقى بعدك.

الفصل الأول: لا تنتظر الإشارة... تحرك الآن

"إن لم تبدأ اليوم، فلن يكون الغد مختلفًا عن الأمس".

كثيرون يجلسون على أرصفة الحياة، يراقبون الآخرين وهم يركضون نحو أهدافهم، بينما هم ينتظرون "الإشارة" التي لن تأتي أبدًا.

ينتظرون الوظيفة المناسبة، أو الفرصة الذهبية، أو الظروف المثالية... وهم لا يدرون أن **الوقت يسرقهم في صمت**، وأن القافلة تتحرك دونهم.

الحقيقة القاسية أن الانتظار هو مقبرة الأحلام.

كل يوم تؤجله هو خطوة إلى الوراء، وكل فرصة تتركها تمر هي حجر آخر يُبنى في جدار إحباطك.

ليس المهم أن تكون الظروف مثالية، ولا أن تكون لديك كل الموارد، ولا أن يكون الطريق ممهدًا أمامك... المهم أن **تبدأ الآن**، بخطوة واحدة، صغيرة لكنها حقيقية.

هذه الخطوة قد تكون مكالمة هاتفية، أو خطة مكتوبة، أو لقاء مع شخص يمكن أن يفتح لك بابًا.

المهم أن تتحرك... لأن الحركة تولّد الفرص، والفرص تولّد إنجازات، والإنجازات تجلب إنجازات أكبر.

تذكّر...

لا أحد سيطرق بابك ليقول لك: "تفضل، هذه فرصتك على طبق من ذهب."

الفرص تُصنع، والطريق يُشق، والمجد يُنتزع، وكل ذلك يبدأ **بالتحرك الآن... لا غدًا**.

الميدان يناديك... والخطوة الأولى بيدك

الميدان لا ينتظر المتفرجين... بل يرحّب فقط باللاعبين الفعليين.

هناك من يراقب من بعيد، يحلل، يخطط، ينتقد... لكنه لا يضع قدمه على أرض الواقع. وهؤلاء – مهما حفظوا من الكتب أو أتقنوا من النظريات – سيبقون غرباء عن طعم الإنجاز ورائحة العرق التي تسبق النصر.

الحياة ليست فصلًا دراسيًا نظريًا، بل ساحة مفتوحة تحتاج إلى من يقتحمها. قد تبدو مزدحمة، مليئة بالمنافسين، وربما تشعر أنها أكبر من قدرتك... لكن الحقيقة أن جزءًا كبيرًا من الخوف كان مجرد خيال، وأن كثيرًا من المقاعد الفارغة تنتظر شجاعتك أنت.

لا تنتظر أن تكون جاهزًا بنسبة 100%، فالجاهزية الكاملة وهم. كثيرون يضيّعون حياتهم في الإعداد المفرط، أو انتظار اللحظة المناسبة، أو البحث عن الشريك المثالي... لكنهم ينسون أن الميدان يحب الجرأة، ويكافئ المبادرة، ويمنح أسراره فقط لمن يقتحمونه بأقدام ثابتة.

الخطوة الأولى... لا يهم حجمها، لكنها أهم خطوة في الرحلة كلها، لأنها تكسر حاجز الخوف، وتزرع أول بذرة للثقة، وتثبت أنك جاد. كم من أبطال لم يكونوا الأفضل حين بدأوا، لكنهم تميّزوا لأنهم بدأوا بينما الآخرون ما زالوا يكتبون قائمة "التحضيرات."

تأمل في قصص العظماء: كل واحد منهم بدأ بخطوة غير كاملة، بلا المال الكافي، ولا الدعم الكافي، ولا الخبرة الكاملة... ومع ذلك بدأوا، فجاءت البقية.

الميدان يناديك الآن: افتح مشروعك، تطوّع في خدمة الناس، أطلق فكرتك، ابدأ المبادرة التي حلمت بها أو حتى حلمًا شخصيًا دفنته تحت ركام الأعذار... فإما أن تخطو إليه الآن، أو تكتفي بمشاهدة الآخرين وهم يصنعون التاريخ.

كل فكرة لا تدخل حيّز التنفيذ مصيرها التعفن، وكل موهبة لا تلامس أرض الواقع تموت في الظل.

وتذكّر...

الخطوة الأولى ليست مجرد بداية، بل إعلان رسمي أنك حيّ، حاضر، وجاد في اقتحام المستقبل.

وهكذا، حين تضع قدمك على أول عتبة في الميدان، ستكتشف أن الخوف الذي كبّلك كان هشًّا، وأن الطريق الذي بدا غامضًا بدأ يتضح ملامحه. لكن السؤال الذي سيبقى يلاحقك هو:

إلى متى كنت ستنتظر لولا أنك بدأت الآن؟

إن كنت ما زلت مترددًا، فالمبحث التالي سيضعك وجهًا لوجه أمام الحقيقة: الانتظار قاتل، والتأجيل لصّ الأحلام.

إلى متى تنتظر؟

كسر دائرة التسويف والاعتياد

كل يوم تؤجِّل فيه مشروعك، أو فكرتك، أو رسالتك، هو يوم تمنحه مجانًا لشخص آخر ليتقدم عليك، ويأخذ موقعك في الصف الأول. الوقت لا يتوقف احترامًا لترددك، ولا يمنحك فرصة إضافية لأنك "لم تكن جاهزًا."

التسويف ليس مجرّد عادة سيئة، بل دائرة قاتلة: تبدأ بفكرة "سأفعل لاحقًا"، ثم تتحوّل إلى "سأفعل غدًا"، ثم تجد نفسك بعد سنوات تقول: "ليتني فعلت". الاعتياد على هذا النمط يقتل الحماسة، ويُبرّد العزيمة، حتى يصبح عقلك بارعًا في اختراع المبررات أكثر من إنتاج الحلول.

تخيل أن خلايا جسدك، وهي تحمل حياتك، تعيش على ما تعطيها من رسائل. فإذا اعتادت سماعك تكرر: "غدًا... بعد قليل... يومًا ما"، فإن الخلايا التي توشك على الموت تهمس إلى الخلايا الجديدة بهذه الكلمات نفسها، حتى تحفظها كل خلية فيك عن ظهر قلب، وتصبح أنت أسير قاموس التأجيل.

الحياة لا تنتظر من يتهيأ نفسيًا، بل تفتح أبوابها لمن يطرقها بجرأة. أنت لا تحتاج أن تكون جاهزًا 100%، بل تحتاج أن تكون حاضرًا ومستعدًا للانطلاق بما لديك الآن.

الفرص الكبرى نادرًا ما تأتي مكتملة، لكنها تكبر بك ومعك إذا امتلكت الشجاعة للبدء.

الحياة تمضي، والوقت يتسرب من بين أصابعك، والفرص التي تؤجلها اليوم قد لا تطرق بابك غدًا. كل يوم تؤجل فيه هو دين إضافي على عمرك، ستسدده لاحقًا بندمٍ أثقل من أي عمل كنت ستبذله اليوم.

وحين تعتاد التأجيل، فأنت لا تقتل مشروعك فقط، بل تقتل فيك روح المغامرة، وتختار – دون أن تشعر – أن تسير في أأمن الطرق، لكنه في الحقيقة الطريق الأكثر فقرًا في النتائج، والأكثر بؤسًا في الأثر.

وهنا ينتظرك فخٌّ آخر، أخطر من التسويف، يبتلع الملايين بلا رحمة: أن تظن أن الوظيفة الآمنة هي الحل، فتكتشف بعد سنوات أنها لم تكن سوى حكم مؤبد على أحلامك، وأنك بقبولك لها كخيار وحيد، كنت قد وقّعت – بيدك – على حكم الفقر إلى الممات.

الوظيفة تعني الحكم على نفسك بالفقر إلى الممات.

حين تظن أن الوظيفة هي الميناء الآمن الذي سترسو فيه سفينة حياتك، فأنت في الحقيقة قد ربطت مركبك بسلسلة حديدية في شاطئ ضيق، ورضيت أن تراقب السفن الأخرى وهي تجوب المحيطات.

الراتب الذي تتلقاه ليس إلا فتاتًا محسوبًا بدقة، يكفي بالكاد لإبقائك واقفًا على قدميك، لكنه لا يكفي أبدًا لتخطو إلى أبعد من ذلك.

الوظيفة – بمعناها التقليدي – تمنحك شعورًا زائفًا بالاستقرار، لكنها في الوقت نفسه تسرق منك أجمل سنوات العطاء، لتستبدلها بسباق يومي نحو نهاية الشهر، حيث تعود نقطة الصفر من جديد.

وحين تعتمد على راتب ثابت كمصدر وحيد للدخل، فأنت تقبل ضمنيًا أن يحدد الآخرون سقف أحلامك، ويقرروا بالنيابة عنك ما تستحقه وما لا تستحقه.

إنها القيد الذهبي: يبدو لامعًا من الخارج، لكنه في النهاية... قيد.

الوظيفة تضعك في دائرة مغلقة: تعمل لساعات طويلة لتغطية نفقاتك، فتتعب فتحتاج إجازة، وحين تأخذ إجازة، يتوقف دخلك أو يتقلص... فتعود للعمل بأقصى طاقة لتلحق بما فاتك. ومع مرور السنوات، تتحول هذه الدائرة إلى **سجن مريح**؛ جدرانه الأمان الزائف، وبابه المغلق هو خوفك من المغامرة.

من الناحية النفسية، يغرس هذا النمط في عقلك فكرة أن دخلك مرتبط بوقت عملك، وأنك إذا توقفت... انقطع المورد. بينما في الحقيقة، العقول الحرة تبني مصادر دخل تعمل حتى وهي نائمة، وتستثمر وقتها في إنشاء أصول لا تتآكل مع العمر.

والواقع أن معظم الموظفين – مهما ارتفعت رواتبهم – يعيشون على الحافة المالية: ارتفاع بسيط في الأسعار أو أزمة صحية مفاجئة كفيل بإغراقهم في الديون لسنوات. ذلك لأنهم يملكون دخلًا **ثابتًا** في عالم **متغير**، وهذه معادلة خاسرة من البداية.

أما من الناحية الاجتماعية، فالوظيفة كثيرًا ما تسلبك المرونة، وتقيّدك بروتين ممل، وتجعل جدولك الزمني ملكًا لغيرك. تتحكم فيك سياسات الشركة، ومزاج المدير، وحتى خططك العائلية قد تُختزل في جملة: "سأطلب إجازة إن وافقوا."

الفرق الجوهري أن الوظيفة تبيعك **الوقت** مقابل المال، بينما المشاريع والأعمال الحرة تجعلك تبني نظامًا يبيع **القيمة** مقابل المال، وهذا الفارق هو ما يصنع الثروة الحقيقية.

لذلك، إذا أردت أن تتحرر من حكم الفقر المؤبد، فابدأ الآن في التفكير خارج أسوار الوظيفة: طوّر مهارة قابلة للبيع، ابنِ مشروعًا جانبيًا، استثمر في فكرة، أو حتى في نفسك. فالتحرر المالي لا يأتي من الشجاعة الكبيرة دفعة واحدة، بل من خطوات صغيرة تبدأها اليوم... قبل أن تكتشف بعد عقود أنك قضيت حياتك تبني أحلام غيرك، وتركت أحلامك تموت بصمت.

الفصل الثاني: بادر... وارفع سقف طموحاتك

الحياة لا تمنح جوائز ترضية لمن يلعب في المساحات الضيقة. من يختار أن يعيش في حدود أفكاره الصغيرة، سيظل أسيرها مهما كان ذكيًّا أو مجتهدًا. والواقع يشهد أن من أحدثوا الفرق في التاريخ لم يكونوا أكثر حظًا أو ذكاءً بالضرورة، بل كانوا أجرأ من غيرهم على رفع سقف أحلامهم، وتوسيع أفق مشاريعهم، والإقدام على خطوات يراها الآخرون ضربًا من المستحيل.

إذا أردت أن تصنع أثرًا، فابدأ من الآن في تغيير معاييرك الداخلية؛ لأن ما تعتبره أنت "قمة الطموح" قد لا يكون إلا بداية الطريق عند من سبقوك. ومن يضع لنفسه سقفًا منخفضًا سيصطدم به سريعًا، بينما من يرفعه عاليًا سيجد نفسه في فضاء من الفرص لا نهاية له.

إن رفع سقف الطموحات ليس رفاهية فكرية، بل هو شرط أساسي للنجاح. فالمشاريع الكبيرة تخلق أصحابها كما يخلق أصحابها المشاريع، وتفرض عليك أن تكبر أنت قبل أن تكبر هي. ومن يقبل أن يعيش في ظل مشاريع صغيرة، يكتب على نفسه شهادة الفناء قبل أن يبدأ.

تأمل في قصة الدكتور **عبد الرحمن السميط** -رحمه الله - الذي لو رضي بأن يكون طبيبًا عاديًا في الكويت، لربما عاش حياة مهنية مريحة بلا أثر

يُذكر. لكنه بادر ورفع سقف طموحه إلى حيث لم يجرؤ كثيرون، فانطلق في مشروع دعوي وإنساني غيّر حياة الملايين في إفريقيا. كانت النتيجة أن أسلم على يديه أكثر من **أحد عشر مليون نفس**، ولا تزال مشاريعه تمتد وتثمر بعد وفاته، فمات الجسد ولم تمت الحسنات.

الفرصة اليوم بين يديك لتعيد تعريف أحلامك، وترسم حدودًا جديدة لما تريده، لا لما يفرضه عليك واقعك الحالي. لأنك حين تبادر برفع سقف طموحاتك، تكون قد خطوت أول خطوة نحو حياة مختلفة تمامًا... حياة يصنعها الطموح العالي لا الأماني المؤجلة.

انسَ أفكارك إن لم ترفع السقف

الأفكار الصغيرة ليست سوى قوالب ضيقة تُعيد تدويرك داخل المساحة نفسها، كالماء الذي يدور في حلقة مغلقة دون أن يصل إلى مجرى جديد. أو مثل البيوت الضيقة... قد تؤويك فترة، لكنها تخنق أنفاسك على المدى البعيد. قد تكون فكرتك الحالية مريحة، قابلة للتنفيذ، وربما تجد من يصفق لك عليها... لكن السؤال الحقيقي: هل ستغيّر حياتك؟ هل ستبني لك مجدًا أو تصنع أثرًا للأمة؟

من يبدأ مشروعًا فكريًا أو دعويًا أو إنسانيًا وهو لا يرى أبعد من حدود نفسه، سيبقى يدور في دائرة مغلقة حتى تذبل همته وتنطفئ أنفاسه.

الفكرة التي لا ترفعك أعلى من واقعك، ستُبقيك حبيس الواقع ذاته. ومهما أقنعت نفسك أنها "بداية جيدة"، ستكتشف لاحقًا أنها بداية مستهلكة، سبقك إليها عشرات بل مئات، ولن تفتح لك أبوابًا جديدة.

انظر حولك: المشاريع التي صنعت الفارق لم تبدأ كأفكار متواضعة ترضي صاحبها، بل كأحلام جريئة تتحدى المألوف، وتكسر حاجز الممكن، حتى بدت في بدايتها ضربًا من الخيال. أصحابها لم يرضوا أن يضيفوا لبنة صغيرة في جدار قديم، بل أرادوا أن يبنوا جدارًا جديدًا في مكان لم يتجرأ أحد على الاقتراب منه.

إن دعوتنا اليوم تحتاج إلى رجال ونساء يجعلون للأمة نصيبًا من كل جهد ومال ووقت، بحيث لا تقل حصة الدعوة ونصرة الدين عن نصف أعمارهم وطاقاتهم.

فإذا كان سقفك منخفضًا، فلن ترى إلا جدارك... أما إذا رفعت السقف، فسترى السماء.

إذا وجدت نفسك تفكر في فكرة لا تتطلب منك أن تكبر، أن تتعلم أكثر، أن تبذل جهدًا مضاعفًا، فاعلم أنها فكرة محدودة لا تستحق وقتك. انسَها، وابدأ بالبحث عن فكرة ترفع سقفك، وتستفز كل ما فيك من قدرات، حتى تجد نفسك مجبرًا على أن تصبح نسخة أعظم من ذاتك لكي تنفذها.

الأفكار العظيمة تُخيفك أولًا، لكنها تُحررك لاحقًا... أما الأفكار الصغيرة فتطمئنك مؤقتًا، لكنها تقيدك إلى الأبد. ومن سنن الفطرة أن الحلم الكبير والمشروع الضخم يوقظ فيك الحماسة، ويشدك إليه شدًّا، حتى إنك تستمتع بتعبه، وتجد نفسك تنهض باكرًا وأنت متشوق لقطع خطوة جديدة نحوه. بينما المشاريع الصغيرة، مهما حاولت تزيينها، تزرع داخلك الفتور، وتؤدي مع الوقت إلى الملل، وقلة الرغبة في تطويرها، بل قد لا تجد نفسك حتى راغبًا في الاستيقاظ المبكر لأجلها. وهنا يأتي السؤال الحاسم: إن كنت قد قررت أن ترفع السقف، فهل أنت مستعد أيضًا أن تدفع ثمنه؟ لأن كل حلم عظيم له كلفة، وكل مشروع جريء يحتاج استثمارًا أكبر من المال

والوقت والجهد. ولهذا تموت المشاريع الصغيرة قبل أن تبدأ، لأن أصحابها بخلوا على أحلامهم بما تحتاجه لتعيش.

فتذكّر... أن حياتك قصيرة، وأنك ستقف يومًا بين يدي الله، فيسألك: ماذا صنعت لدينه؟ وماذا قدّمت لأمّتك؟ فإن كنت لا تزال في بداية الطريق، فابدأ من الآن، ولا تنتظر الظروف المثالية، فهي لن تأتي أبدًا. حدّد حلمًا كبيرًا، مشروعًا ضخمًا يليق بأن يُذكر اسمك في تاريخه، ثم انطلق بكل ما أوتيت من وقت ومال وجهد. واجعل تعبك لشيء إذا رأيته يوم القيامة قلت: الحمد لله أني تعبت من أجله. فالأمم لا تصنعها الأحلام الصغيرة، وإنما تصنعها العزائم التي تعانق السماء.

وهنا ندخل إلى الحقيقة التالية: أن المشاريع الصغيرة تموت قبل أن تبدأ، لأن أصحابها بخلوا على أحلامهم بما تحتاجه لتعيش.

فالأحلام - مثل البذور - لا يكفي أن تضعها في التراب وتغادر، بل تحتاج إلى سقي دائم، ورعاية، وبيئة مناسبة لتشب وتنمو. غير أن أغلب الناس يتعاملون مع مشاريعهم كما يتعامل من يشتري زهرة بلا جذور، يضعها في مزهرية جميلة، ثم يندهش حين تذبل بعد أيام.

إن رفع سقف الفكرة خطوة أولى، لكن الفكرة - مهما كانت عظيمة - تموت جوعًا إن لم تجد من يُطعمها بالموارد والوقت والالتزام الكامل.

والأمم التي صنعت حضاراتها لم تكن تملك فقط أحلامًا كبيرة، بل دفعت كلفتها غاليًا، وضحّت بما لا يجرؤ عليه أصحاب الطموحات المؤقتة.

ولهذا، إذا أردت أن ترى حلمك حيًا، نابضًا، يغيّر الواقع، فعليك أن تدرك من الآن أن الطريق لن يُفتح لك بالتصفيق أو النوايا الحسنة، بل بدفع الثمن: ثمن المعرفة، وثمن الوقت، وثمن الصبر، وثمن التضحية.

ومن هنا ننتقل إلى القاعدة الثانية في هذا الفصل" :**ارفع كلفة أحلامك... المشاريع الصغيرة تموت قبل أن تبدأ**"، حيث نتناول كيف أن البخل على الفكرة يقتلها، ولماذا الاستثمار السخي في بدايتها هو جواز مرورها نحو الحياة.

ارفع كلفة أحلامك... المشاريع الصغيرة تموت قبل أن تبدأ.

الأحلام العظيمة لا تُبنى من بقايا الجهد، ولا تُغذّى بالفتات. الحلم الذي تريد أن يغيّر مجرى حياتك أو يترك بصمة في تاريخ أمتك، يحتاج أن تدفع فيه أغلى ما عندك... من وقتك، وطاقتك، ومالك، وأعصابك، وحتى راحة بالك. أما الأحلام التي تكتفي لها بأقل استثمار ممكن، فهي في حقيقتها ليست أحلامًا، بل "أمنيات" تتسلى بها، ثم تدفنها قبل أن تتنفس أول أنفاسها.

المشاريع الصغيرة لا تموت لأنها فاشلة في الفكرة بالضرورة، بل لأنها وُلِدت جائعة ولم تجد من يغذيها. رأينا كثيرًا من المبادرات تبدأ باندفاع حماسي، لكن أصحابها يوقفون الإنفاق عند أول عقبة، أو يختصرون الجهد في منتصف الطريق، أو يتراجعون لأن المشروع بدأ "يكلف أكثر مما توقعوا". وهكذا، يختفي الحلم قبل أن يرى النور، لا لأنه مستحيل، بل لأن صاحبه بخِل عليه بكلفة الحياة.

رفع كلفة أحلامك لا يعني التبذير بلا وعي، وإنما يعني أن تُدرك منذ اللحظة الأولى أن الطموحات العظيمة لها ثمن، وأنك مستعد لدفعه بوعي وقناعة. وهذا الدفع ليس ماليًا فقط، بل يشمل الصبر الطويل، والعمل المتواصل، والتحمّل أمام النقد والمنافسة. المشاريع التي تغيّر وجه التاريخ لم تُنجز في وقت الفراغ أو بموارد هامشية، بل كانت معارك حقيقية بذل فيها أصحابها ما يملكون، لأنهم أيقنوا أن الكلفة العالية جزء من طبيعة الطريق.

لا تخشَ من أن يكون حلمك مكلفًا، بل اخشَ أن يكون رخيصًا. فالمشروع الرخيص يجذب الحالمين الكسالى الذين يريدون نتيجة بلا ثمن، أما المشروع المكلف فيفرز منذ البداية من يملك الإرادة الحقيقية للبقاء حتى النهاية.

فاسأل نفسك قبل أن تبدأ: هل أنا مستعد أن أرفع سقف ما أدفعه كما رفعت سقف ما أحلم به؟ إن كان جوابك نعم، فأنت على الطريق الصحيح... وإن كان لا، فالأفضل أن تعيد التفكير قبل أن تحرق وقتك في مشروع محكوم عليه بالموت المبكر.

فكّر كالأمم... لا كالأفراد.

كن فردًا بحجم أمة...

ليست المشكلة في الأمة، فالأمة عظيمة في إرثها، بكتابها وربها ورسالتها ، خصبة في طاقاتها، لكن التحدي أن يتحول كل واحد منا إلى فردٍ يحمل همّها، وكأنه هو الأمة بأسرها يفكر بعقلها، ويتحرك بروحها، ويتحمل مسئولياتها في الدعوة والتربية والنهوض، وكأن لا أحد في الميدان سواه قائم بهذا الواجب.

إنه أن تعيش وكأنك ممثل الأمة أمام العالم، تتحرك لا لمصلحة شخصية ضيقة، بل لمشروع واسع بحجم الرسالة، تضع لنفسك أهدافًا تتجاوز حدود العمر، وتخطط لما بعدك وكأنك ستعيش قرونًا.

لقد رأيت رجالًا لم يرضوا أن يقضوا حياتهم في حدود الوظيفة المضمونة أو المشروعات الهامشية، بل وسّعوا مجال الرؤية ورفعوا سقف الأحلام، فتركوا الأمان المزيّف ليبادروا بمشاريع للأمة.

صديقي **عبدالله الغامدي** مثل واضح؛ ترك وظيفة ثابتة ليؤسس شبكة من المؤسسات الدعوية والإنسانية والتربوية، منها جامعة مرموقة خرّجت مئات الطلبة من دعاة وقادة ميدانيين.

وصاحبي الآخر بدأ حياته في مجال الصيدلة، ثم غيّر المسار مبكرًا ليؤسس مدرسة متخصصة في اكتشاف الأنماط الشخصية، مستلهمًا من منهج النبي ﷺ في معرفة قدرات الصحابة وتوظيفهم في أماكنهم الصحيحة. فكما لم

يكن صغر سن أسامة بن زيد عائقًا أمام قيادة جيش، لم يكن اختلاف التخصص عائقًا أمام هذا الرجل ليصبح مؤثرًا في ميادين التربية والتمكين.

وكذلك صديقي المهندس محمد عاشور، الذي سخّر خبرته التقنية في بناء مئات المواقع والمنصات والتطبيقات، من أبرزها موقع رسول الله ﷺ الذي يضم محتوى ضخمًا قد يقترب في حجمه وقيمته من محتوى "جمعية المحتوى الإسلامي" باللغات، محتوى تعجز بعض الدول – رغم إمكاناتها الهائلة – عن إنتاج مثله. لقد أدرك أن العمل للإسلام لا يقتصر على المنابر والكتب، بل يمتد إلى كل أداة توصل الرسالة وتُعلي الكلمة.

وهنا يسطع نموذج آخر خالد في ذاكرة الأمة :**الدكتور عبدالرحمن السميط**، الذي حمل همَّ الدعوة إلى قلب أفريقيا، فأحيا قرى بأكملها، وأدخل الإسلام إلى قلوب مئات الآلاف، متجاوزًا حدود الوظيفة الضيقة إلى فضاء الرسالة الواسع.

هذه النماذج الثلاثة – الطبيب الذي تحوّل إلى أكبر داعية في عصره، والمهندس الذي جعل التقنية جسرًا يعبر به الإسلام إلى قلوب الملايين، والصيدلاني الذي أتقن قراءة النفوس ووضعها في مواقعها الصحيحة – تذكّرنا أن التفكير بعقلية الأمة يفتح الآفاق، ويجعل المرء يبحث عن موضع الأثر الأعظم، لا عن موضع راحته هو. وكما قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: 2]، فإن عقول الأمم هي التي تجتمع على مشروع

جامع، تُسخَّر فيه الطاقات، وتُستثمر فيه التخصصات، فتتحول الجهود الفردية إلى نهضة شاملة، ولبنات متينة في صرح الإسلام.

وفي المقابل، عرفت رجالًا كانت لديهم كل المقومات ليكونوا قادة أمة، لكنهم آثروا الركض خلف مصالح شخصية ضيقة أو تجارة صغيرة أهدرت أعمارهم بلا أثر يُذكر، بل ربما أساؤوا للدعوة وهم لا يشعرون.

إن أن تكون "فردًا بحجم أمة" يعني أن تتحمل على كتفيك قدرًا من الرسالة أكبر من ذاتك، وأن تجعل كل خطوة في حياتك لبنة في مشروع النهضة، وأن توقن أن الله قادر أن يجعل بفرد واحد نهضةً تغير وجه التاريخ.

إن الفرق بين من يفكر كفرد، ومن يفكر كأنه أمة، هو الفرق بين من يكتفي بإطعام نفسه ومن ينهض ليطعم مدينة بأكملها. الأول يعيش ليستهلك ما حوله، والثاني يعيش ليضيف إلى الدنيا معنى وقيمة.

تذكّر دائمًا أن التفكير كأمة ليس ترفًا فكريًا ولا حلمًا شاعريًا، ولا خيارًا شخصيًا، بل هو حاجة ملحّة لنهضتنا وواجب أخلاقي يفرضه الانتماء لهذه الرسالة الخالدة وضرورة وجودية لكل من يحمل هذا الدين في قلبه؛ لأن الإسلام لم ينزل ليُصلح حياتك الفردية فقط، بل جاء ليقيم العدل في الأرض، ويهدي الناس كافة إلى صراط الله المستقيم. قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

أما الإنسان الذي يحصر همَّه في ذاته، يظل أثره محدودًا بحدود جسده وعمره، أما من وسَّع دائرة اهتمامه إلى آلام أمته وآمالها، فإنه يخطّ بعمله

سطورًا في تاريخها، ويشارك في صنع مستقبلها. قال الإمام مالك: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها."[1]

وقد كان ابن القيم – رحمه الله – يقول: "العبد إذا لم تكن همته لله وفي الله، فليعلم أنّه إنما يقطع عمره في شتات، ثم يندم حيث لا ينفعه الندم" (مدارج السالكين، ج2، ص75).

إنك إن لم تحمل همَّ الأمة اليوم، فسوف تحمل غدًا آثار هزيمتها على ظهرك، وإن لم تفكر لها وتخطط لمستقبلها، فسيفكر أعداؤها ويخططون لمحوها. فاختر أن تكون من صُنّاع مجدها، لا من قرّاء تاريخها بحسرة.

من يفكّر بعقلية الأمة، لا ينحصر أثره في حدود عمره، بل يترك بصمةً تمتد في الزمن، تحيي القلوب، وتلهم العقول، وتبقى شاهدةً على أن العمر الحقيقي للإنسان هو ما قدّمه لله ولأمته. وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا ماتَ ابنُ آدَمَ انقطعَ عملُهُ إلَّا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له» [صحيح مسلم، كتاب الوصية، حديث رقم 1631].

عقلك حين يتسع لأمة... يصنع تاريخًا أكبر من عمرك.

[1] ص22 - كتاب شرح صحيح ابن خزيمة الراجحي - شرح قول الإمام مالك لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها - المكتبة الشاملة

الفصل الثالث: من الوحدة إلى الريادة

ليست الريادة حكرًا على أصحاب الفرق الكبيرة أو المؤسسات الضخمة؛ بل كثير من قصص النجاح الخالدة بدأت بخطوة وحيدة على طريقٍ طويل، ومع شخص واحد فقط آمن بفكرته قبل أن يؤمن بها العالم. إنّ أعظم المشاريع التي غيّرت مجرى التاريخ لم تُولد وسط الضجيج، وإنما خرجت من رحم الصمت، ومن عزيمة شخصٍ وقف وحده في وجه التيار، مؤمنًا أن الريادة لا تنتظر اصطفاف الجماهير خلفك، بل تبدأ عندما تصنع أنت المسار، وتترك بصمتك الأولى في الرمل، ليتبعك الآخرون.

في مسيرة النهضة وصناعة المشاريع الكبرى، يتردد كثيرون في الانطلاق ما لم يروا من حولهم الحشود المؤيدة، أو يضمنوا مساندة القريب والبعيد. غير أن التاريخ، والواقع المعاصر، يخبراننا بحقيقة مغايرة: **أن بدايات العظماء غالبًا ما كانت وحيدة، وأن أول شرارة للتغيير انطلقت من قلب فرد واحد آمن بفكرته قبل أن يؤمن بها الآخرون.**

لأن روح الريادة لا تنتظر الأعداد ولا ينتظر الإجماع، بل تبدأ بخطوة جريئة وقرار فردي شجاع، بروح جريئة تحرك الدم في العروق وبإيمان عميق يرفض الاستسلام لبرودة التثبيط أو بطء الاستجابة وتمنحك القوة لتشق المسار مهما كان وعراً ومهما بدا الطريق طويلًا أو موحشًا، فإن الثبات على

الفكرة، والمضي فيها بإصرار، هو الذي يخلق البيئة الجاذبة التي تدفع الآخرين للحاق بك بعدما أيقنوا أنك كنت على حق

سنسافر معًا من لحظة الوحدة إلى قمة الريادة، ونكتشف كيف يمكن لقرار جريء أن يُحوّل خطواتك الفردية إلى تيار مؤثر، وكيف أن انطلاقتك الصادقة قد تصبح مصدر إلهام لأجيال تأتي بعدك.

وهكذا، فإن هذا الفصل ليس عن الحشود ولا عن المؤازرة الجماعية، بل عن **الشرارة الأولى**، عن تلك اللحظة التي يقرر فيها شخص واحد أن يشق طريقه في الميدان، مؤمنًا أن **البدايات الجادة، ولو كانت فردية، هي التي تكتب النهاية المبهرة.**

ابدأ وحدك... وسينضم إليك الآخرون.

شجاعة الانطلاق رغم الوحدة

لقد كانت رسالة الأنبياء عليهم السلام، منذ فجر التاريخ، مدرسة في **الانطلاق الفردي**، فنوح عليه السلام واجه قومه وحده قرونًا طويلة، وإبراهيم عليه السلام حطّم أصنام قومه في مشهد فريد، والنبي ﷺ بدأ دعوته وحيدًا في مكة، ثم صار حوله صفوة من الرجال والنساء الذين آمنوا به ونصروا رسالته.

إن الانطلاق وحدك ليس نقصًا في الحيلة، ولا علامة على ضعف المشروع، بل هو اختبار الإيمان به، وامتحان الصدق في العمل له. وكم من مبادرة وُلدت في ذهن واحد، ثم صارت حركة عالمية، لأن صاحبها لم ينتظر موافقة الجميع، بل تحرك وهو على يقين أن **الأفكار القوية تمشي على أقدام أصحابها قبل أن تحملها أكتاف الجماهير.**

ولهذا فإن من يريد شق طريقه نحو العلا لا يسأل: "كم معي؟" بقدر ما يسأل: "ماذا سأفعل الآن؟"؛ لأنه يعلم أن البدايات التي تُصنع في الصمت، هي التي تُسمع هديرها في الآفاق لاحقًا.

النهضة تبدأ بخطوة يتيمة

من طبيعة النفس البشرية أن تستأنس بالرفقة، وتتشجع حين ترى من يشاركها الطريق، لكن مسار التغيير والدعوة والمشاريع النهضوية كثيرًا ما يبدأ **بخطوة يتيمة**، تتحدى الخوف والتردد، وتكسر جدار الانتظار.

النجاح لا ينتظر الحشود، بل يبدأ من فرد واحد يمتلك الشجاعة الكافية ليمضي في طريقه، غير آبه بغياب المؤازرين أو تشكيك المترددين. فالتاريخ يخبرنا أن المشاريع الكبرى لم تُبنَ أول الأمر على كتف الجماهير، بل على عزيمة أفراد حملوا الفكرة في عقولهم، ودفئوها بإيمانهم، وسقوها بعرقهم، حتى أثمرت واقعًا حيًّا.

قد يخذلك الأقربون، ويتردد من حولك، ويبرر البعض عدم الانضمام إليك بحجج شتى؛ لكن الحقيقة أن معظم الناس ينتظرون من يثبت لهم أن الطريق ممكن قبل أن يخطوا فيه. إنهم يريدون أن يروا شخصًا واحدًا على الأقل يقتحم المجهول، ويتحمل المخاطرة، ويمضي بثقة نحو ما يراه حقًا أو مشروعًا يستحق العناء.

حين تبدأ وحدك، فإنك ترسل رسالة ضمنية لكل من يراقبك: أن الفكرة أقوى من الخوف، وأن الطريق مفتوح لمن يجرؤ على الخطوة الأولى. ولنا في التاريخ شواهد عظيمة؛ فالرسل والأنبياء عليهم السلام بدأوا دعوتهم في مواجهة أمم كاملة، بلا نصير ولا معين إلا الله، ومع ذلك التحق بهم الأتباع، لأنهم رأوا فيهم صدق العزيمة وقوة المبدأ.

وليس معنى البداية الفردية أن تبقى وحيدًا للأبد، بل هي مرحلة تأسيس، تسبق الالتفاف الطبيعي للآخرين حولك متى ما لمسوا أنك ثابت على موقفك، وأنك لا تتحرك بدافع الانفعال المؤقت، بل بخطة وهدف ورؤية. فالنجاح مغناطيس يجذب العزائم، لكنه لا يعمل إلا إذا بدأت أنت بتوليد مجاله الجاذب من داخلك، وحفرت طريقك في الصخر قبل أن يسلكه الآخرون بسهولة.

أثر الخطوة الجريئة: لماذا يلتف الناس حول من يملك الجرأة على البدء؟

الجُرأة في بدء مشروع أو فكرة جديدة ليست مجرد قرار لحظي، بل هي إعلان عن روح قيادية قادرة على شق الطريق حيث لم يسر أحد من قبل. في تاريخ الأمم، كان أصحاب المبادرات الجريئة هم الذين يكتبون الصفحات الأولى من النهضات، وهم الذين تُنسج حولهم الحكايات، لأنهم تجرأوا على ما تردد فيه الآخرون.

إن في النفس البشرية ميلًا فطريًا للإعجاب بمن يكسر الجمود، ويخطو الخطوة الأولى في طريقٍ لم يجرؤ الآخرون على اقتحامه.

الأكثرية تخشى المجازفة، وتخاف من الفشل أو الخسارة أو التردّد قبل البدء. هناك من يظل ينتظر الظروف المثالية، وآخرون يحبسهم الخوف من كلام الناس. كثيرون يظلون يخططون ويؤجلون، يتمنون في أعماقهم لو أنّ لديهم الشجاعة لفتح الباب المغلق، لكنهم ينتظرون أن يفعله أحدٌ آخر أولًا. ذاك الذي يتحرك **بروحٍ جريئة تحرّك الدم في العروق** لا ينتظر، بل يقتحم الميدان **بروح جريئة تحرك الدم في العروق**، فيقتحم الباب الذي يهابونه، وما إن يخطو تلك الخطوة حتى يبدأ الآخرون بالالتفاف حوله؛ فإذا

به يصبح نقطة ارتكاز ينطلق منها الجميع منهم من يطمح في أن يكون شريكًا في النجاح، ومنهم من يكتفي بأن يسير في الطريق الذي شقه غيره، ومنهم من كان ساخطًا في البداية، فإذا ما رأى النجاح صار أول المصفقين.

حين يرى الناس أن أحدهم قد بدأ، ينشأ في نفوسهم إحساس بالقدرة: "إذا استطاع هو، فأنا أستطيع". بعضهم يتقرب منه إعجابًا، وبعضهم يسارع للحاق بالركب، وهناك من يحاول تقليده مدّعيًا أنه كان ينوي نفس الفكرة منذ زمن، أو يتظاهر بأن الأمر كان سهلًا لو أراد فعله. لكن النتيجة واحدة: الجريء يصبح محورًا تُشدّ إليه الأنظار، ومرجعًا في الميدان، بينما الجبان يبتعد عنه حتى أقرب الناس إليه.

إن من يملك الجرأة على البدء، لا يكتسب احترام الناس فقط، بل يصبح قدوةً تتشجع بها القلوب وتتحرك لها الهمم. وكم من مجالٍ كان ميتًا أو مجهولًا، فإذا بشخصٍ واحد يفتحه ويشعل فيه الحياة، فيتسابق الناس إليه بعد أن كانوا يخافون الاقتراب منه.

ومن تجربتي الشخصية، أذكر حين بدأت أخطط لتأسيس الجامعة، كان الأكثرية من حولي لا يؤمنون بالفكرة، وينتقدونني قائلين: "كيف ستبدأ بهكذا خطوة دون أن تستشيرنا؟". والحقيقة أنني كنت منذ سنوات أثير الموضوع وأبحث عن من يشجعني، لكن لم أجد حماسًا ولا دعمًا. بل إن فريقي الأقرب بدأ منذ البداية بزرع الإحباطات. وحين انطلقت، لم أسمع

إلا كلمات مثبّطة. ومع ذلك واصلت، واليوم أصبحوا يتمنون أن أوفر لهم برامج الدراسات العليا التي لم يكونوا يومًا يعتقدون أنها ستصبح ممكنة.

ولستُ بدعًا في ذلك، فالتاريخ مليء بأمثلة لأشخاص نهضوا بخطوات جريئة غيّرت مجرى حياتهم وحياة من حولهم:

- **النبي محمد** ﷺ حين صعد على الصفا ليجهر بالدعوة لأول مرة، فاجأ الحشود بالحقائق التي لم يعهدوها، فواجهوه بالتكذيب والأذى، ثم صار الذين آمنوا به أوائل حملة الرسالة إلى العالم.
- **صلاح الدين الأيوبي** الذي تجرأ على إعلان مشروع تحرير القدس في زمنٍ كانت فيه الأمة ممزقة، فبدأ بخطوات إصلاحية صغيرة حتى وحّد الصفوف وحرر بيت المقدس.
- **توماس إديسون** الذي جرب آلاف المرات قبل أن ينجح في اختراع المصباح، متحديًا السخرية من فكرته ومثابرًا حتى جعل اختراعه أساسًا لحياة الناس.
- **الشيخ أحمد ديدات** الذي اقتحم مجال الحوار مع النصارى في زمنٍ لم يكن أحد يجرؤ فيه على مناقشة قضايا العقيدة علنًا، فأصبح قدوة للأجيال في أسلوب الدعوة بالحجة والمناظرة.

هذه الأمثلة تؤكد أن الشجاعة على البدء لا تُلهم الآخرين فقط، بل تجبرهم على الاعتراف بك، حتى لو أنكرتك ألسنتهم في البداية.

خلاصة عملية – كيف تكتسب الجرأة على البدء؟

1. **ابدأ صغيرًا:** لا تنتظر أن تكتمل الصورة، خطوة أولى صادقة خير من ألف فكرة مؤجلة.
2. **درّب نفسك على مواجهة المخاوف:** دوّن مخاوفك وحدد أسوأ احتمال، ثم خطط للتعامل معه.
3. **صاحب الجريئين:** فالمجالسة تنقل عدوى الشجاعة كما تنقل عدوى الخوف.
4. **استند إلى رسالة واضحة:** حين تعرف لماذا تفعل ما تفعل، يصبح احتمال الفشل أهون من عدم المحاولة.
5. **اعتمد على العمل قبل الكلام:** فالجرأة الحقيقية تظهر في الفعل لا في كثرة الوعود.

فالجرأة ليست صفة يولد بها الإنسان مكتملة، بل مهارة يمكن تنميتها بالممارسة والنية الصادقة، حتى تصبح عادة تفتح لك أبوابًا لم تكن تحلم بها.

حين يتحول جهدك إلى تيار.

في كثير من الأحيان يبدأ العمل الجاد في صورة جهد فردي متواضع، قد يبدو محدود الأثر في بداياته. لكن التاريخ والتجارب الميدانية يثبتان أن هذه الشرارة الصغيرة إذا حافظت على وهجها، يمكن أن تتحوّل إلى تيار واسع يجرف معه الحواجز ويؤثر في مئات أو آلاف الأشخاص. فالتحولات الكبرى تبدأ بخطوة، والخطوة تتبعها أخرى، حتى تتشكل الموجة التي لا يمكن إيقافها.

إن سرّ هذا التحول يكمن في **قوة الفكرة، وصدق القائمين عليها، واستمرارهم في العمل** .فالناس قد يتأثرون بفكرة جديدة، لكنهم لا يلتفون حولها إلا حين يرون أصحابها صادقين فيها، مثابرين عليها، لا تخبو عزيمتهم مع الأيام. حينها يتحول الجهد من مبادرة فردية إلى حركة، ومن صوت واحد إلى جوقة متناغمة.

وقد شهدت الساحة الدعوية أمثلة رائعة على ذلك. خذ مثالًا من عالم الدعوة:

ربما يبدأ داعية بفكرة صغيرة، لقاء أسبوعي محدود، أو مبادرة توزيع كتب، فيسعى بإصرار إلى إتقانها، وتحسينها، وتوسيع دائرتها. ومع مرور الوقت، تتضاعف الأيدي، وتتنوع المهارات، ويتحول المشروع من نشاط فردي إلى منظومة حية تعمل بروح واحدة. وعند هذه النقطة، يصبح

المشروع أكبر من صاحبه، ويتحوّل إلى تيار يملك القدرة على الاستمرار حتى بعد غياب المؤسس.

مبادرة فردية لشاب يوزع كتيبات تعريفية بالإسلام أمام إحدى الجامعات، تحولت مع الوقت إلى فريق من المتطوعين، ثم إلى حملة موسمية واسعة النطاق.

مجموعة صغيرة من طلاب الجامعة بدأت بحلقات نقاش أسبوعية عن الأخلاق الإسلامية، لتصبح لاحقًا ناديًا رسميًا يستقطب مئات الطلاب، ويقيم مؤتمرات ومحاضرات مؤثرة.

العبرة هنا أن **التيار لا يولد من فراغ**، بل من تراكم الجهود، ومن قدرة صاحبه على تحويل العمل إلى منظومة قابلة للانضمام والمشاركة. فإذا استمر العمل بوضوح الرؤية، ووجد بيئة حاضنة، فإنه سينمو باضطراد، حتى يصبح كالنهر الذي تتغذى عليه الجداول الصغيرة، ويغذي بدوره أرضًا واسعة.

خطوات عملية لتحويل الجهد الفردي إلى تيار

1. **حدد رسالتك بوضوح**: لا يمكن لأي جهد أن يتحوّل إلى تيار إذا كان غامض الاتجاه. وضوح الرسالة يجعلها قابلة للفهم والتبني من الآخرين.

2. **ابدأ صغيرًا ولكن بعمق**: لا تشغل نفسك بالانتشار الواسع منذ اللحظة الأولى، بل ركّز على جودة الفعل، وإحكام بنيته، حتى يصبح نموذجًا مُلهِمًا لمن يراه.

3. **ابنِ دائرة دعم أولية**: ابحث عن أشخاص يشاركونك الرؤية والحماس، ولو كانوا ثلاثة أو أربعة فقط، فهم نواة التيار القادم.

4. **شارك قصتك وإنجازك باستمرار**: عرض ما تحققه من تقدم، ولو كان بسيطًا، يُلهم الآخرين ويجذب مزيدًا من المشاركين.

5. **هيئ بيئة مستمرة للنمو**: اجعل مشروعك أو فكرتك مفتوحة للأفكار الجديدة، واستوعب مهارات الآخرين لتتوسع الدائرة.

6. **أعطِ الآخرين دورًا حقيقيًا**: حين يشعر المساهمون أن لهم أثرًا مباشرًا، يتحولون من متطوعين عابرين إلى شركاء دائمين في صناعة التيار.

7. **احرص على استمرارية العمل**: حتى لو كانت الموارد قليلة، حافظ على نبض المشروع حيًا، فالانقطاع يقتل الزخم، بينما الاستمرارية تصنع التأثير.

الفصل الرابع: كسر القيود المصطنعة

كم من إنسان عاش عمره كله خلف أسوار لم يبنها غيره، لكنه ظل يظنها جدرانًا حقيقية!

هذه الجدران ليست من حجر ولا حديد، بل من أفكار موروثة، وتصورات خاطئة، وقوانين غير مكتوبة يرددها الناس حتى صارت عندهم حقائق لا تُمسّ.

إن أخطر ما يقيد الإنسان ليس السجن المادي، بل القيود الذهنية والنفسية التي تُبنى داخل عقله، حين يتنازل عن حقه في صناعة مساره، ويكتفي بالسير حيث يسير الجميع، حتى لو كانت القافلة تمضي في طريق مسدود.

في هذا الفصل، نفتح معًا ملفات هذه القيود المصطنعة التي كبّلت عقول المبدعين وقيّدت حركة الطموحين، ونعرض كيف يمكن كسرها وتحويلها إلى جسور للانطلاق، بدل أن تبقى جدرانًا تحجبك عن سماء أحلامك.

سنناقش:

- كيف تصنع مسارك بدل أن تكتفي بالسير في مسارات الآخرين.

- كيف تفهم حقيقة المدرسة والشهادات الأكاديمية بين الواقع والوهم.
- وكيف تحمي أجمل سنوات عطائك من أن تسرقها أنظمة تعليمية أو اجتماعية لا ترى إلا القوالب الجاهزة.

هنا، لن نكتفي بالكلام عن الحرية الفكرية، بل سنتحدث عن الجرأة في كسر المسلمات الزائفة، وصناعة بدائل حقيقية، وفتح الطرق التي يظن الناس أنها مغلقة.

هل تصنع المسار... أم تسير مع القافلة؟

منذ أن وُجد الإنسان وهو أمام خيارين لا ثالث لهما: أن يسلك الطريق الذي رسمه غيره ويسير مع القافلة، أو أن يصنع طريقه الخاص، يختار وجهته، ويضع بصمته، ويترك أثره. والأمم التي صنعت التاريخ لم يكن روادها من السائرين في طوابير المتشابهين، بل من أولئك الذين امتلكوا شجاعة الانفراد، وجرأة المبادرة، وحكمة التغيير.

في عالم يموج بالضجيج، ويمتلئ بالمسارات المرسومة سلفًا، يقف الإنسان أمام سؤال مصيري:

هل أنا من يصنع الطريق... أم مجرد تابع يسير حيث تسير القافلة؟

أغلب الناس لا يعيشون حياتهم بقرار واعٍ، بل ينساقون خلف التيار؛ يدخلون المدرسة لأن الجميع يفعل، يختارون تخصصهم لأن أقاربهم نصحوا

به، يعملون في وظيفة لأن المجتمع يعتبرها "آمنة"، ثم يمضون عقودًا من أعمارهم داخل مسار لم يختاروه أصلًا.

وهكذا تتحول حياتهم إلى تكرار باهت لخطوات سبقتهم، دون بصمة تميزهم أو أثر يخلّدهم.

لقد حذّرنا النبي ﷺ من هذا النمط حين شبّه الناس بالإبل المئة، لا تكاد تجد فيها راحلة تصلح للسفر، فقال: «إنما الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة» (رواه البخاري ومسلم).

وأنت، لا ترضَ أن تكون من ذلك القطيع الذي يسير بلا هدف ولا رؤية، بل كن من القلة النادرة التي تُسخّر حياتها لغاية أكبر من مجرد العيش والاستهلاك.

لا تكن صفرًا على شمال الرقم، بل كن رقمًا صعبًا لا يمكن تجاوزه.

لا تكن "سقطة المتاع" التي لا تستحق أن يترجل أحد من دابته ليلتقطها، بل كن من النفائس التي تشدّ الناس رحالهم طلبًا لها.

إن صناعة المسار لا تعني دائمًا شق طريق لم يسر فيه أحد قبلك، لكنها تعني أن تعي لماذا تسير، وإلى أين تسير، وأن يكون قرارك نابعًا من قيمك وأهدافك، لا من ضغط المجتمع أو تقليد الآخرين.

فالطريق الذي تختاره لنفسك – وإن كان محفوفًا بالتحديات – يمنحك حياة مليئة بالمعنى، على عكس الطرق الجاهزة التي تمنحك راحة وقتية، ثم فراغًا داخليًا لا يملؤه شيء.

في اللحظة التي ترفض فيها أن تكون جزءًا من القطيع، وتقرر أن تكون "الراحلة" التي تُسافر بها القوافل، يبدأ الطريق الحقيقي في التشكل أمامك... طريقٌ قد لا يكون أسهل، لكنه بالتأكيد أكرم وأبقى.

خلاصة عملية: كيف تصنع المسار الخاص بك؟

1. **حدّد وجهتك بدقة** قبل أن تخطو، اسأل نفسك: ما الذي أريد أن أصل إليه بعد خمس أو عشر سنوات؟ بدون وجهة واضحة، ستصبح جزءًا من القافلة التي لا تعرف إلى أين تسير.
2. **كوّن بصمتك الخاصة** استثمر في تطوير مهارات فريدة، أو في تقديم فكرة جديدة، أو في ابتكار أسلوبك المميز. تذكّر: الناس لا يذكرون المقلدين.
3. **ابدأ ولو بخطوة صغيرة** لا تنتظر اكتمال الظروف المثالية، فالطريق لا يُفتح إلا لمن يخطو عليه أولًا.
4. **تحمّل مشقة الانفراد** صناعة المسار تحتاج إلى جلد وصبر على الوحدة أحيانًا، لأنك لن تجد من يشجّعك دائمًا في البدايات.

5. **تعلم من القادة... لكن لا تذُب فيهم** استفد من تجارب الناجحين، لكن ليكن لك قرارك، ورؤيتك، وحدسك الخاص في رسم الطريق.

6. **قِس تقدّمك بإنجازاتك لا بخطوات غيرك** النجاح الحقيقي أن ترى أثرًا ملموسًا من عملك، لا أن تُسرّع أو تُبطئ لأن الآخرين يفعلون ذلك.

بهذه المبادئ، ستتحول من مجرّد فرد في القافلة إلى صانع طريق، ومن مكرر لما سبقك إلى صاحب قصة يرويها من يأتون بعدك.

المدرسة والشهادة... بين الواقع والوهم.

لا تزال المدرسة، في نظر كثيرين، البوابة الذهبية إلى النجاح، ومفتاح المستقبل الزاهر، وبطاقة العبور إلى الحياة الكريمة. لكن حين ننظر بعمق، ونقارن الواقع بالأحلام المرسومة، نكتشف أن الصورة ليست كما تُسوَّق لنا، وأن ما بين الواقع والوهم مسافة شاسعة تُقاس بسنوات عمرٍ تُهدر، وعقول تُحاصر، وطاقات تُستنزف.

لقد عايشنا التجربة عن قرب، ورأينا بأعيننا كيف تتحول المدرسة، التي يُفترض أن تكون منارة للعلم، إلى سجن يومي للوقت والطموح. وعلى المستوى الشخصي، فإنني وأولادي – رغم تميزهم الفطري – ندمنا على ضياع سنوات طويلة في أنظمة تعليمية عقيمة، سواء في ألمانيا أو الشارقة أو حتى في إقليم كردستان. كنا نظن أن الانتقال بين البيئات التعليمية قد يمنحنا فرصة أفضل، لكننا اصطدمنا بالحقيقة المؤلمة: أن الخلل ليس في المكان وحده، بل في المنهج والفلسفة التي تقف خلفه.

حين أسترجع سنواتي الدراسية، لا أجد من حصادها إلا شيئًا يسيرًا، وربما الشيء الوحيد الذي استفدته حقًا هو إتقان جدول الضرب. أما القراءة والكتابة، فقد كان بوسعي أن أتعلمهما على يد والدتي في وقت أقصر بكثير، دون أن أُساق يوميًا إلى مقاعد جامدة وجدران صامتة.

لقد أثبتت التجربة أن النجاح الحقيقي يأتي – بعد توفيق الله – مما يصنعه الإنسان لنفسه من مهارات وخبرات حقيقية، ومن سعي دائم لطلب العلم خارج الأطر الضيقة. وكل الناجحين الذين أعرفهم لم يصنعهم نظام

المدرسة، بل صنعتهم رغبتهم في التعلم، وقدرتهم على اكتشاف الطريق بأنفسهم.

إن قضاء الأولاد ساعات طويلة كل يوم في المدرسة، هو في نظرنا إهدار للصحة والعقل، ولو أن التعليم اقتصر على ساعتين يوميًا لتلقي الأساسيات، ثم قضوا بقية وقتهم في تجارب الحياة العملية - كالعمل مع الوالدين، أو ممارسة التجارة، أو حتى اللعب الحر في الطبيعة - لكان ذلك أنفع بكثير من حشو عقولهم بمعلومات لا تمت لواقعهم بصلة. نعم، نحن بحاجة إلى أطباء ومهندسين، لكن ليس إلى هذه الأعداد الهائلة التي تُساق جميعها في مسار واحد، وتُحرم من اكتشاف مسارات الحياة الأخرى.

بل إن كثيرًا من العباقرة أُهدر مستقبلهم، لا لأنهم أغبياء، بل لأنهم لم يحبوا مواد معينة كالرياضيات أو الكيمياء أو الأحياء، فحُكم عليهم بالفشل ضمن معايير ضيقة. وأما اللغة الإنجليزية التي يستهلك الطلاب نصف أعمارهم في دراستها، فكثيرون منهم لا يستطيعون صياغة جملتين صحيحتين بها بعد كل تلك السنوات.

والأدهى من ذلك ما يحدث للأخلاق والقيم؛ إذ تشهد المدارس في كثير من الأنظمة تدميرًا منهجيًا للحياء، وتهميشًا للأخلاق الفاضلة، حتى يخرج الجيل ضعيف الهوية، هشّ الانتماء، غريبًا عن قيمه ومبادئه.

وهكذا نجد أن المدرسة - بالشكل الذي تُدار به اليوم في كثير من البلدان - ليست مصنعًا للعلماء والمبدعين بقدر ما هي طاحونة تستهلك أجمل

سنوات العطاء، وتُنتج في الغالب نسخًا مكررة من المتلقين، بدل أن تُطلق طاقات الفريدين المبدعين.

في مجتمعاتنا، ما زالت المدرسة والشهادة الورقية تُعامل وكأنها مفتاح الجنة الدنيوية، وكأن حياتك لن تُفتح لك أبوابها إلا إذا علّقت على الحائط ورقة مختومة من جهة رسمية تقول إنك "ناجح."، لكن، هل الأمر فعلًا كذلك؟ أم أن الواقع أوسع بكثير من جدران الصفوف ومنهاج مقرّر منذ عقود؟

1. التعليم النظامي... بين القيمة الحقيقية والبريق الزائف

المدرسة — في أصل فكرتها — مؤسسة لتمكينك من أدوات المعرفة، لتفتح لك عينيك على الكون، وتدربك على مهارات التفكير والحياة. لكنها في واقع كثير من البلدان صارت مسارًا إجبارياً طويلًا، يُقاس فيه النجاح بعدد الصفحات المحفوظة لا بعدد المهارات المتقنة، وبكمّ المعلومات المكدسة لا بعمق الفهم.

والشهادة — التي يُحتفى بها في حفلات التخرج — لا تمثل بالضرورة إتقانًا ولا إبداعًا، بل قد تكون مجرد تصريح بالعبور من مرحلة إلى أخرى، بينما الحياة الحقيقية تبدأ بعد أن تخرج من قاعة الامتحان.

2. وهم الأمان الوظيفي

كم من شابٍ وشابة ظنّوا أن الشهادة الجامعية هي جواز سفرهم إلى وظيفة أحلامهم، ثم اصطدموا بواقع يطلب منهم خبرات لا تمنحها المناهج، ومهارات لم يسمعوا عنها في أي فصل دراسي.

الشهادة قد تفتح بابًا للمقابلة، لكن الذي يفتح باب الرزق بعد الله هو مهارتك، قدرتك على التعلم الذاتي، والتفكير النقدي، والقدرة على إنتاج حلول مبتكرة للمشكلات.

3. المدرسة كمحطة... لا كقيد

المدرسة ليست سجنًا للأفكار ولا خطّ إنتاج لإخراج نسخ متطابقة من البشر، بل هي محطة عبور نحو بناء ذاتك الحقيقية. المشكلة أن كثيرًا من الناس يقفون عند هذه المحطة وكأنها هي آخر الطريق. الحياة أكبر من جدول حصص، والفرص أوسع من دفاتر العلامات، والمواهب لا تُقاس فقط بدرجات الامتحانات.

4. لا تجعل الورقة تحدد قدرك

الشهادة ورقة... قد تُفتح بها أبواب، لكنها ليست قَدَرك ولا نهايتك. إنها محطة صغيرة على طريق أطول بكثير من جدران الجامعات. فالتعلم الحق لا يُحاصر بختمٍ أو توقيع، ولا ينتهي بقبضة على وظيفة.

أما أنت — يا من اخترت طريق التحدي — فلا تجعل الشهادة قيدًا يحدد سقفك، ولا الوظيفة غايةً تحبس روحك. خذ منها ما ينفعك، إن شئت، تجربةً عابرة أو نافذةً صغيرة على بعض أسرار المهن...

ثم امضِ في دربك الأوسع: درب الأثر، حيث لا ينتهي التعلم، ولا يُختزل النجاح في ورقة أو مرتب، بل في أثر يبقى بعدك حيًّا في القلوب والأزمان.

كم من أصحاب المشاريع العملاقة والمبادرات المؤثرة في العالم لم يكملوا تعليمهم النظامي، لكنهم أتمّوا تعليمهم الذاتي، وامتلكوا الشجاعة للبدء والتطوير والمثابرة.

إذا كانت الشهادة ورقة، فإن مهارتك وثقافتك وسمعتك هي "الرصيد الحقيقي" الذي يظل معك حيثما ذهبت.

خلاصة عملية: كيف تتعامل مع المدرسة والشهادة بذكاء؟

1. **استثمر وجودك في المدرسة** لتعلّم الانضباط والبحث والتحليل، لا للحفظ الأعمى.
2. **ابنِ مهاراتك خارج المنهج**: القراءة الحرة، الدورات المتخصصة، العمل التطوعي.
3. **لا تربط قيمتك الذاتية بدرجة أو لقب**، بل اجعل ميزانك هو ما تضيفه للحياة.
4. **تذكّر** :التعليم رحلة عمر، والشهادة مجرد محطة فيها... فلا تتوقف عندها.

خاتمة

إن أزمة المدرسة والشهادة اليوم ليست في وجودهما، بل في الصورة المشوَّهة التي تحوّل التعليم من صناعة العقول إلى استهلاك الأعمار، ومن بناء الإنسان إلى مطاردة أوراق لا قيمة لها في ميادين الحياة الحقيقية. والمشكلة أعمق من ضعف المناهج أو فساد الإدارة؛ إنها أزمة فلسفة تعليم، وفقدان البوصلة التي تحدد: لماذا نتعلم؟ ولأجل ماذا نعد أبناءنا؟

ولذلك، فإن إصلاح التعليم لا يبدأ من تحديث الكتب أو تحسين المباني، بل من إعادة صياغة أهدافه، وربط المعرفة بالعمل، وربط المهارة بالقيمة، وربط الأخلاق بالعلم. وهذا ما يقودنا إلى المبحث التالي، حيث نبحث **كيف يمكن أن نصنع نموذجًا تعليميًا بديلًا، يخرج أجيالًا قادرة على البناء والإنتاج، لا على حفظ الأوراق وانتظار الوظائف.**

لا تجعل التعليم يسرق أجمل سنوات عطائك.

ليس هناك خطأ في أن يتعلّم الإنسان ويتدرّج في طلب العلم، لكن الكارثة أن يتحول التعليم إلى قيدٍ يسرق من عمرك أجمل أيامه، ويؤجل عطاءك العملي حتى تذبل جذوة الشباب وتخور طاقة الحماس. كثير من الناس ينتظرون "انتهاء التعليم" ليبدأوا حياتهم الحقيقية، بينما الحياة نفسها كانت تمضي أمامهم دون أن يشاركوا فيها بإنجاز أو بصمة.

إن السنوات الذهبية للشباب هي رأس المال الحقيقي، وهي أثمن من أن تُنفق كلها في مقاعد الانتظار بين شهادة وأخرى. فكم من شاب أنهى الجامعة وهو في الخامسة والعشرين أو الثلاثين، لكنه يكتشف أنه لم يتقن مهارة حقيقية، ولم يختبر ميدان العمل إلا من وراء الأوراق والامتحانات.

لقد كان روّاد النهضة، والمبتكرون، وقادة التغيير، يبدؤون مشاريعهم الكبرى في العشرينات من أعمارهم، وبعضهم قبل ذلك. لم ينتظروا إذنًا من الجامعة، ولا ختمًا على شهادة، لأنهم أدركوا أن **الحياة ميدان تدريب مفتوح، وأن النجاح لا يطلب منك بطاقة تخرج، بل يطلب منك أن تبدأ الآن.**

ولا يعني هذا أن نتخلى عن الدراسة أو نحتقرها، بل أن نكسر احتكارها لسنوات العطاء. فالطالب الذكي هو الذي يربط بين ما يتعلمه وبين تطبيقه العملي في الحياة، ويبحث عن فرص للإنتاج والعمل الجاد وهو لا يزال على

مقاعد الدراسة. فبذلك يحمي شبابه من الضياع، ويجعل من التعليم رافعةً للإنجاز، لا مقبرةً للأحلام.

وإذا كنا قد بيّنا في المبحث السابق كيف يمكن أن يكون التعليم نفقًا إذا انحصر في الشهادة، فإننا هنا نؤكد أن الحل ليس في الهروب من التعليم، بل في التحرر من وهم الانتظار؛ أن تبدأ مشروعك، وتغرس أثرًا، وتعمل لدينك وأمتك، وأنت لا تزال طالبًا.

إن أجمل سنوات عطائك لا تعود إذا ضاعت، فلا تجعلها أسيرة جدران الصفوف وحدها، بل افتح لها نوافذ على العالم، ودعها تتنفس هواء التجربة، وتضيء بنور العمل، حتى إذا جاء يوم التخرج، كانت شهادتك قد سبقتها أعمالك، وكان اسمك معروفًا قبل أن يُكتب على أي ورقة.

لقد جاء الإسلام بميزان عادل بين **طلب العلم والعمل به**، قال تعالى:

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: 105] فالآية لم تجعل الغاية من العلم التكديس النظري، بل الانطلاق إلى العمل والإنتاج.

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – في كتابه "الأم" :العلم ما نفع، وليس العلم ما حفظ." (7/273)

وهو بذلك يقرر أن قيمة العلم في أثره العملي، لا في طول السنوات التي يقضيها صاحبه بين الجدران.

ويحذر الخبراء التربويون المعاصرون من "نخ الدراسة الدائمة (Perpetual Student Syndrome)"، وهو مصطلح يستخدم لوصف من يبقى أسيرًا لطلب الشهادات بلا هدف واضح للتطبيق، فيفوته استثمار طاقته في بناء خبرة عملية حقيقية في مرحلة عمرية يكون فيها الذهن في أوج قدرته والحماس في قمته.

وقد أثبتت دراسة لمعهد Gallup الأمريكي (2019) أن الإنتاجية والإبداع يبلغان ذروتهما لدى الإنسان بين سن 25 و40، وهي المرحلة التي يفترض أن تجمع بين التعلم المستمر والخبرة الميدانية، لا أن تكون مقصورة على تحصيل الشهادات فقط.

إن الشهادة وحدها لا تضمن النجاح، فقد رأينا في الواقع أناسًا يملكون أعلى المؤهلات لكنهم عاجزون عن حل أبسط المشكلات العملية، وفي المقابل نجد من لم يكمل تعليمه الأكاديمي لكنه استثمر شبابه في مشروع نافع أو ميدان إنتاجي، فسبق أقرانه علمًا وتجربةً وأثرًا.

ولهذا، على طالب العلم أن يسأل نفسه دائمًا:

"هل ما أدرسه اليوم يقرّبني من هدفي العملي؟ وهل أوازن بين التعلم والعمل؟"

فالتعليم وسيلة، لا غاية في ذاته، ومن جعله غاية فقد يخسر أجمل سنوات عطائه، ويستيقظ متأخرًا على حقيقة أن الزمن لا يعود.

ولأننا لا نريد أن يبقى الكلام عن استثمار أجمل سنوات العمر في خانة الأمنيات، فإن الخطوة التالية هي أن نمتلك **بوصلة القيادة الشخصية** التي توجه هذا العطاء وتضبط مساره. فالطاقة وحدها لا تكفي إن لم يكن لها اتجاه واضح، والحماس قد يحترق بلا أثر إذا لم يتحول إلى خطة واعية. وهنا تأتي **استراتيجيات القيادة الشخصية** لتكون الجسر الذي يربط بين التعلم والعمل، وبين الفكرة والإنجاز، حتى يسير عطاؤك في خط متصاعد، ويصبح تعليمك وخبراتك وقودًا لمشروع حياتك، لا مجرد أوراق محفوظة في الملفات.

الفصل الخامس: استراتيجيات القيادة الشخصية

استيقظ مبكرًا... وضع الأهم فالمهم أولًا

الوقت رأس مال القائد الناجح، وهو المورد الوحيد الذي إذا ضاع لا يمكن استرجاعه، بل يتناقص باستمرار حتى النهاية. ولأن الساعات الأولى من اليوم هي أكثرها صفاءً وبركةً، فقد جاءت النصوص تحث على اغتنامها. قال النبي ﷺ:

»اللَّهُمَّ بارِكْ لأُمَّتي في بُكُورِها« رواه أبو داود (2606) وصححه الألباني.

هذه البركة ليست مجرد معنوية، بل هي بركة في الفكر، والبدن، والإنجاز، فالبكور يجمع بين صفاء الذهن وهدوء المحيط وقلة المشتتات، مما يجعل ساعات الفجر والضحى أضعاف الساعات المتأخرة في العطاء والإبداع.

وقد بيّن الله تعالى أن تنظيم الأولويات من صفات الموفَّقين، فقال سبحانه:

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 26]،

أي: ليس المهم مجرد كثرة العمل، بل توجيه التنافس إلى ما هو أعظم وأثقل في الميزان.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

"إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها." في مدارج السالكين (2/129)

ولهذا، فإن سر القيادة الذاتية يبدأ بترتيب جدول يومك على أساس "الأهم قبل المهم". هذه القاعدة التي أبدع في تبسيطها العالم الإداري الشهير ستيفن كوفي في كتابه العادات السبع للأشخاص الأكثر فعالية، حيث قرر أن أعظم إنجاز تحققه هو أن تبدأ صباحك بالمهام ذات القيمة الأعلى، قبل أن تستهلكك المهام العاجلة ولكن الأقل أهمية.

ولكي تنجح في تطبيق هذه الاستراتيجية، اجعل أول ساعة من يومك محرمة على رسائل الهاتف ووسائل التواصل، حتى لا تسرقك أخبار الآخرين من مشروعك أنت. خصصها لأهم ثلاثة أهداف قررتها لليوم،

وابدأ بها فورًا، وستجد أن ما كان يستغرق منك أيامًا يمكن إنجازه في ساعات.

الاتصالات والرسائل في المساء

إذا كان الصباح هو وقت البركة والإنجاز، فإن المساء – وخاصة الساعات الأخيرة من اليوم – هو وقت الانطفاء التدريجي للطاقة الذهنية، ولهذا فإن الانشغال في تلك الساعات بالاتصالات والاجتماعات الطارئة أو الرد على الرسائل المشتتة غالبًا يبدد ما تبقى من تركيزك ويستنزف طاقتك للغد.

وقد وجّهنا القرآن إلى جعل الليل محلًّا للسكون والاستجمام، قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: 10-11].

قال ابن كثير في تفسيره :(8/312) أي جعل الليل ساترًا بظلامه لراحة الأبدان، وجعل النهار مضيئًا لتنتشر فيه الخلائق في طلب المعاش.

والنبي ﷺ كان يكره الحديث بعد العشاء، كما في صحيح البخاري (568) عن أبي برزة الأسلمي:

"كان رسول الله ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها"

وذلك حتى يحافظ المرء على راحته واستعداده لقيام الفجر والبكور في العمل.

أما من زاوية الخبراء في الإدارة الحديثة، فإن الباحثة **كاثرين برايس** في كتابها *How to Break Up with Your Phone* تؤكد أن الاستخدام المكثف للهاتف ليلًا – خاصة قبل النوم – يضعف جودة النوم ويؤثر سلبًا على الأداء العقلي في اليوم التالي، وهو ما يضعف قدرة القائد على اتخاذ القرارات الصائبة.

ولهذا، اجعل قاعدة شخصية :بعد ساعة محددة في المساء – ولتكن 9 أو 10 ليلًا – تتوقف عن الرد على الرسائل والمكالمات إلا للضرورة القصوى .هذه القاعدة تحافظ على صفاء ذهنك وتهيئك ليوم جديد يبدأ من الفجر بطاقة متجددة.

الرياضة مقبرة للطاقة

الرياضة مضيعة للطاقة... إن لم توجّهها في مشروعك.

الرياضة تسرق طاقتك الحقيقية والقادة لا يرمون طاقتهم على الأرض. هذه الحقيقة لن يخبرك بها أحد في عالمٍ امتلأ بالشعارات البراقة، لكني أقولها لك لأنني لا أريدك أن تعيش على الوهم. هذه ليست شعارات، بل حقائق لم تسمعها من قبل لأن الخطاب الشائع يكرر: "مارس الرياضة لتحافظ على صحتك"، بينما القادة الكبار والأبطال الحقيقيون يعرفون أن **الطاقة نعمة... فاستثمرها لا تهدرها.**

الطاقة أثمن من الذهب، فليس الغني من يملك المال، بل من يحسن استثمار وقته وجهده فيما يخلّد أثره

الله منحك طاقة محدودة كل يوم، مثل حساب مصرفي يفرغ تدريجيًا. السؤال: أين ستصرف هذا الرصيد؟

ليس المهم أن تبذل جهدًا... بل أن تبذله في الاتجاه الصحيح.

هل ستفرغه على أجهزة الركض، أو في جولات مكررة بلا هدف؟

أم ستسكبه في أعمال تبني مستقبلك، وتفتح لك أبوابًا، وتترك بصمة حقيقية في العالم؟

لماذا الرياضة صارت حلًا زائفًا؟

معظم من يمارس الرياضة لساعات يوميًا يفعل ذلك لأن نمط حياته خامد، حبس نفسه على الكرسي طوال اليوم، ملأ بطنه بما لا ينفع، وأسرف في النوم أو اعتاد الاستيقاظ المتأخر، فضيّع بركة الصباح وأقوى ساعات النشاط.

وقد قال النبي ﷺ" :**بورك لأمتي في بكورها**] "رواه أبو داود والترمذي.[

ثم يحاول لاحقًا "حرق" ما تراكم من كسل وخمول في ساعات المساء، حيث الطاقة أضعف والعزيمة أوهى.

وهنا تظهر القاعدة: الطاقة كالمال، إن صرفتها في الوهم لم يبقَ منها شيء للإنجاز.

والنتيجة؟

كسور، إرهاق، هوس بالكالوري والكاربوهيدرات، وانشغال نصف العمر بحسابات الطعام وكأنهم مرضى مزمنون، وهم في عز شبابهم.

القدوة ليست في الصالات

انظر في سيرة الصحابة والتابعين والعظماء في تاريخ الإسلام، لن تجد واحدًا منهم جعل "ممارسة الرياضة" هدفًا بحد ذاته.

كانت حياتهم مليئة بالحركة الطبيعية: سفر، غزو، بناء، تعليم، خدمة الناس... وهذه كلها تحرك الجسد وتحرق الطاقة **وتبني المجد في الوقت نفسه**، بدل الجري في مكان ثابت لا يغيّر من الواقع شيئًا.

من يركض على الأجهزة يستهلك طاقته، ومن يركض في الميدان يبني مجده.

العمر قصير، والطريق طويل، وأشرف ما تُصرف فيه الأنفاس: طلب المعالي وخدمة الحق.

الركض في الميدان أهم من الركض على الأجهزة

إذا أردت أن تتحرك، فلتكن حركتك جزءًا من مشروعك:

- سافر لتفتح علاقات جديدة.
- شارك في أنشطة ميدانية.
- نفذ أعمالًا تطوعية أو إنتاجية بيدك.

هذه الأنشطة تحرق السعرات وتبني المجد في الوقت نفسه، وتجعل كل قطرة عرق تصب في مشروعك، لا على أرض الصالة.

فالفرق شاسع بين الراكض على الدراجة الثابتة، والراكض في سبيل الله... أن الأول يبقى في مكانه، والآخر يغيّر وجه التاريخ.

الخلاصة

لا تمارس الرياضة أبدًا إذا كان هدفها مجرد استهلاك طاقتك على أجهزة أو مضامير لا تغيّر شيئًا في واقعك.

أبطال مثلك لا يملكون فائض طاقة ليهدرونه في الركض بلا غاية، بل يوجهونه إلى الميدان الحقيقي: بناء المشاريع، صناعة المجد، وتحقيق الإنجازات.

وحين تفعل ذلك، ستكتشف أن السعادة الحقيقية لا تأتي من شكل الجسد في المرآة، بل من الأثر الذي تتركه في حياة الآخرين، ومن الإنجاز الذي تراه ثمرة لعرقك وجهدك.

قاعدة ذهبية:

الطاقة التي لا تتحول إلى أثر... تتحول إلى فراغ.

من الفوضى إلى النظام: تحويل الحماسة إلى مشروع منضبط.

الحماسة الشرعية طاقة فطرية ضرورية لدفع عجلة الدعوة والعمل الإسلامي، فهي التي توقظ العزائم وتشعل جذوة التضحية والبذل. غير أن هذه الطاقة إذا بقيت بلا ضبط ولا توجيه، صارت كالنار المشتعلة في حطب متفرق: تضيء لحظة ثم تنطفئ سريعًا، وربما أتت على ما حولها بالإفساد بدل الإصلاح. ولذا كان لزامًا على الداعية والمصلح أن يحوّل هذا الاندفاع العاطفي إلى عمل منظم يسير على هدي الشرع وحكمة التخطيط.

أولًا: قيمة الانضباط في ميزان الشرع

جاء الإسلام ليبني الأمة على أساس النظام والترتيب، فالله سبحانه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4]. فالممدوح هنا ليس مجرد العدد أو القوة، بل انتظام الصف وتماسكه الذي يحوّله إلى بنيان متين. وفي الحديث عن النبي ﷺ: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ"[2]

والإتقان لا يتحقق إلا بالتخطيط المسبق عبر وضوح الرؤية وحسن التدبير.

ثانيًا: آفات الحماسة غير المنضبطة

التاريخ القريب والبعيد يقدم شواهد كثيرة على مبادرات انطلقت بقوة عاطفية ثم تلاشت، لأن أصحابها لم يضعوا لها خطة واضحة ولا آليات متابعة.

---

[2] صحيح الجامع 1880، أخرجه أبو يعلى الموصلي (4386)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (897)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (4929) جميعهم بلفظه.

والحماسة غير المؤطرة قد تُحوّل جهودًا مخلصة إلى طاقات مكرورة أو متعارضة، بل قد تُحدث تشتيتًا أو تضاربًا بين العاملين في الميدان الواحد. إنها أشبه بسيول جارية بلا مجرى: تهدم أكثر مما تبني.

ثالثًا: آليات تحويل الحماسة إلى مشروع منضبط

لتحويل هذه الطاقة المتدفقة إلى إنجاز مثمر، لا بد من خطوات عملية، أبرزها:

1. **تحديد الهدف بدقة**: أن يكون الهدف الدعوي أو الإصلاحي محددًا، واقعيًا، قابلًا للقياس.
2. **التخطيط المرحلي**: وضع خطة زمنية تُقسم المشروع إلى مراحل واضحة المعالم.
3. **توزيع المهام**: إسناد كل مهمة لمن هو أصلح لها، مع وجود آليات للمتابعة والتقويم.
4. **التوثيق والبناء التراكمي**: تسجيل التجارب والخبرات لتصبح أساسًا لمشاريع لاحقة، فلا يبدأ كل جيل من الصفر.
5. **التقويم المستمر**: مراجعة الإنجاز بانتظام، ومعالجة القصور قبل أن يتفاقم.

رابعًا: التوازن بين المرونة والانضباط

الانضباط لا يعني الجمود. المشروع الدعوي يحتاج إلى ثبات في المبادئ، لكنه في الأساليب يتسم بالمرونة ليستجيب للمستجدات. وقد جسّد النبي

ﷺ هذا التوازن في مواقفه، فمن ثباته على غاياته الكبرى، إلى مرونته في الأساليب كما ظهر في صلح الحديبية الذي كان فتحًا في مآلاته.

خامسًا: ثمار الانتقال من الفوضى إلى النظام

عندما تتحول الحماسة إلى مشروع منضبط، تغدو الجهود الفردية قوةً جماعية مضاعفة، ويصبح العمل أكثر استدامة وقدرة على مواجهة العقبات. قال النبي ﷺ: "الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ، فلا تَقُلْ: لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ؛ فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ."[3]

جاء النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بتَعاليمَ نافعةٍ، ووَصايا جامعةٍ، تَبُثُّ في المسْلِمِ الأمَلَ والشَّجاعةَ والقوَّةَ، وتُحوِّلُه إلى فَردٍ نافعٍ ومُفيدٍ يَملَأُ الدُّنيا خَيرًا وعَطاءً وإحسانًا.

وفي هذا الحديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ «المؤمنَ القويَّ» يعني في إيمانِه، وليْس المرادُ بها قوَّةَ البدَنِ، «خَيرٌ وأَحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ منَ المُؤمنِ الضَّعيفِ» وهو الَّذي في إيمانِه ضَعفٌ، «وَفي كُلٍّ خيرٌ» أي: في كلِّ واحدٍ مِن القويِّ والضَّعيفِ خَيرٌ؛ لاشتراكِهما في الإيمانِ، والقُوَّةُ المحمودةُ

[3] صحيح مسلم 2664.

تَحتمِل وُجوهًا عديدةً، فمنها القُوَّة في الطَّاعةِ، فيكونُ المؤمنُ أكثرَ عَملًا، وأطولَ قيامًا، وأكثرَ صِيامًا وجهادًا وحجًّا. ومِنها القوَّةُ في عَزيمةِ النَّفسِ، فيكونُ أقدَمَ على العَدوِّ في الجِهاد وأشدَّ عزيمةً في تغييرِ المنكَرِ والصَّبرِ على إيذاءِ العدوِّ واحتمالِ المكروهِ والمشاقِّ في ذاتِ اللهِ. ومنها القوَّةُ بالمالِ والغِنَى، فيكونُ أكثرَ نَفقةً في الخيرِ وأقلَّ مَيلًا إلى طلَبِ الدُّنيا، والحِرص على جمْعِ شَيءٍ فيها، وغيرِ ذلك مِن وُجوهِ القُوَّةِ، وإنَّما يُذَمُّ منها الَّتي تأتي بالتَّكبُّرِ والتَّجبُّرِ، والضَّعفُ الَّذي فيه خيرٌ هو الَّذي يَكونُ مِن لِينِ الجانبِ والانْكِسارِ للهِ عزَّ وجلَّ، ويُذَمُّ مِنْهُ ضَعْفُ العزيمةِ في القيامِ بحقِّ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ويُوصي النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المسْلمَ بقولِه: «احْرِصْ على ما يَنفَعُكَ» يعني: بالأخذِ بالأسبابِ، ومع الأخذِ بالأسبابِ اعتمِدْ على مُسبِّبِ الأسبابِ، وهو اللهُ سُبحانه وتَعالَى؛ ولهذا قال بعْدَ ذلك: «واستَعِنْ باللهِ»؛ لأنَّ الإنسانَ إذا أخَذَ بالأسبابِ ولم يَحصُلْ له عَوْنٌ وتَوفيقٌ مِن اللهِ تَعالَى، فلنْ يَحصُلَ ما يُريدُه، فمُجرَّدُ الأخذِ بالأسبابِ لا يَكْفي، بلْ يُحتاجُ إلى شَيءٍ وَراءَه، وهو تَوفيقُ اللهِ وإعانتُه على حُصولِ ذلك الشَّيءِ؛ فإنَّه لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، والمرادُ بالأعمالِ النَّافعةِ: ما يَعودُ على الإنسانِ بخَيْرَيِ الدُّنيا والآخِرةِ مِن العِباداتِ والأعمالِ الصَّالحةِ ونَحوِ ذلك.

ثمَّ يَنهى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن العَجزِ، والمرادُ به هنا: الكسَلُ، وهو ضِدُّ النَّشاطِ، وهو التَّثاقُلُ عمَّا لا يَنْبَغي التَّثاقُلُ عنه، ويَكونُ ذلك لعَدَمِ

انْبعاثِ النَّفْسِ للخَيرِ مع وُجودِ القُدرةِ عليه؛ ولذلك كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَستعيذُ باللهِ منه.

فَمَنْ عَمِل بتلك الوصيَّةِ وقام بها على وَجْهِها الأكمَلِ، ثمَّ أصابَتْهُ بعْدَ ذلك مُصيبةٌ، فلا يَقُلْ: «لوْ أنِّي فَعَلْتُ كان كذا وكذا»؛ فإنَّ هذا القولَ غيرُ سَديدٍ، ولكنْ يَقولُ مُستَسْلِمًا وراضيًا، ومُؤمِّلًا الخيرَ: «قَدَّر اللهُ»، أي: وَقَعَ ذلكَ بمُقتَضى قَضائِه وعلى وَفْقِ قَدَرِه، «وما شاءَ فَعَلَ»؛ فإنَّه فعَّالٌ لِما يُريدُ، ولا رادَّ لقَضائِه، ولا مُعقِّبَ لحُكمِه.

وبعْدَ أنْ نَهى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن قَولِ كلمةِ الشَّرطِ «لَوْ» في مِثلِ هذا المَوضِعِ، نبَّهَ على أنَّها «تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطانِ» مِن مُنازَعةِ القَدَرِ، والتَّأسُّفِ على ما فاتَ؛ لأنَّ فيها الاعتراضَ على القَدَرِ، والتَّحسُّرَ مِن وُقوعِه، كأنْ يقولَ الإنسانُ حِين تَنزِلُ به مُصيبةٌ: لوْ فَعَل كذا ما أصابه المرَضُ! فالمسْلمُ مُطالَبٌ بالتَّسليمِ للقَدَرِ، فما أرادَه اللهُ عزَّ وجلَّ واقعٌ لا مَحالةَ؛ إذْ قَضاءُ اللهِ وقَدَرُه لا يَتخَلَّفُ، فما دامَ الإنسانُ قدِ اجتهَدَ في العملِ، وأخَذَ بالأسبابِ، مُستعينًا باللهِ، وطلَبَ الخيرَ منه سُبحانه؛ فلا عليه بعْدَها إلَّا أن يُفَوِّضَ أمْرَه كلَّه للهِ، ولْيَعلَمْ أنَّ اختيارَ اللهِ عزَّ وجلَّ هو الخيرُ، حتَّى وإنْ كان ظاهِرُ ما وَقَع له مَكروهًا، ولا يَستطيعُ أحدٌ مِن الخلَقِ دَفْعَ قَدَرِ الخالِقِ عزَّ وجلَّ وتَغييرَه دُونَ إذْنٍ مِنَ اللهِ، وإنِ اجتَمَعَتْ لذلك الدُّنيا بما فيها.

وفي الحديثِ: الأَمرُ بفِعلِ الأَسبابِ والاستِعانَةِ باللهِ.

وفيهِ: التَّسليمُ لأَمرِ الله، والرِّضا بقَدَرِه عزَّ وجلَّ.

وفيهِ: ثُبوتُ صِفةِ المحبَّةِ للهِ عزَّ وجلَّ.

وفيهِ: أنَّ الإيمانَ يَشمَلُ العَقائدَ القَلبيَّةَ والأَقوالَ والأَفعالَ.

وفيهِ: أنَّ المؤمنينَ يَتفاوتونَ في الخَيريَّةِ، ومحبَّةِ اللهِ والقيامِ بدينِه، وأنَّهم في ذلكَ دَرجاتٌ. وهو توجيه جامع يلخص معالم العمل المنظم: وضوح الهدف، الاعتماد على الله، بذل الوسع، وتجنب التشتت والعجز[4].

إن التجارب الدعوية والفكرية تؤكد أن الأفكار مهما بلغت عظمتها تبقى حبيسة الذهن إذا لم تتحول إلى خطة عملية ذات أهداف محددة ومراحل مدروسة. وهكذا، فإن الجمع بين **العزيمة الصادقة والبصيرة المنضبطة** هو الذي يحول الفوضى إلى بناء، والحماسة العابرة إلى إنجاز خالد.

[4] مَوْقِعُ الدُرَرِ السَنِيَّة، المَوْسُوعَةُ الحديثية، شروح الأحاديث.

أمثلة واقعية

1. من التاريخ الإسلامي – تأسيس دولة المدينة

حين هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، كان المجتمع الجديد مليئًا بالحماسة لنصرة الإسلام، لكن الحماسة وحدها لم تكن كافية .هنا تتجلى حكمة القيادة؛ إذ بادر ﷺ بأعمال استراتيجية كبرى:

- بناء المسجد النبوي: لم يكن للبُعد التعبدي فقط، بل ليكون مركز القيادة والإدارة. فيه تم استقبال الوفود، وعُقدت مجالس الحرب، وأقيم التعليم، وكان مكان القضاء، بل وحتى النشاطات الاجتماعية (أهل الصفة) والترفيهية البريئة (لعب الأحباش) [البخاري ومسلم] . وهكذا صار المسجد هوية الدولة الإسلامية الجديدة: دين وسياسة وتربية واجتماع في آن واحد.
- إرساء وثيقة المدينة :وهي دستور ينظم العلاقات بين المسلمين واليهود والمشركين، ويضع أسس التعايش والعدل.
- الاستقلال الاقتصادي: أسس ﷺ سوقًا للمسلمين مستقلًا عن احتكار اليهود، كما دعا لشراء بئر رومة الذي أوقفه عثمان بن عفان رضي الله عنه للمسلمين [الترمذي 3701 وصححه الألباني] .

لقد تحولت طاقة المهاجرين والأنصار العاطفية إلى مشروع حضاري منضبط غيّر وجه التاريخ، لأن القيادة لم تترك الحماسة تتشتت، بل صاغتها في نظام شامل: مسجد، دستور، واقتصاد.

2. من الواقع المعاصر – طالب مسلم في الغرب

شاب مسلم في إحدى الجامعات الغربية كان ممتلئًا بالرغبة في التعريف بالإسلام، لكنه كان يوزع جهده بين المطويات، والمناظرات، وإدارة الصفحات... فشعر بالإرهاق دون أثر ملموس.

حين اجتمع مع زملائه، قرروا تركيز طاقتهم في معرض سنوي للتعريف بالإسلام

خططوا له قبل ثمانية أشهر، وزعوا المهام، جمعوا الموارد، وحددوا المواعيد طبعوا نصف مليون نسخة من المطويات في عام واحد.

النتيجة: حضور آلاف الطلاب، دخول بعض الزوار في الإسلام، واستمرار المشروع كمؤسسة طلابية حتى بعد تخرج المؤسسين. لقد تحولت الحماسة المتفرقة إلى تيار منظم أحدث أثرًا مضاعفًا.

رابعًا: الدرس الجامع

بهذا الربط بين الماضي والحاضر يتضح أن الانضباط هو الجسر الذي يعبر به الحماس إلى الضفة الأخرى: ضفة الإنجاز والبقاء.

الحماسة بلا نظام كالسيل الجارف، يدمّر أكثر مما يبني؛ أما الحماسة المنضبطة فهي النهر الجاري، يسقي ويعمر ويُثمر.

الفصل السادس: استثمار المال لصناعة الأثر

المال في ميزان الإسلام ليس غايةً تُطلَب لذاتها، بل وسيلةٌ رفيعة تُستثمر في طاعة الله وخدمة دينه وصناعة أثرٍ باقٍ بعد رحيل صاحبه. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77]. فالمال عطيّة من الله، يُبتلى به العبد: أيُمسكه بخلاً فيكون وبالاً عليه؟ أم يجعله جسراً للآخرة، فيُصبح صدقةً جارية ووقفاً نافعاً وعوناً للدعوة إلى الله؟

وليس غريبًا أن النبي ﷺ جعل المال أحد أعمدة المسؤولية الكبرى، فقال: " لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسأَلَ عن عُمُرِه، فيمَ أفناه؟ وعن عِلْمِه، فيم فعَلَ فيه؟ وعن مالِه، من أين اكتسَبَه؟ وفيم أنفَقَه؟ وعن جِسمِه، فيمَ أبلاه؟"[5]

بَيَّنَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ لِكُلِّ عَبدٍ وَقفةً بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعالى يَومَ القيامةِ، يَسأَلُه اللهُ عَزَّ وجَلَّ عن كُلِّ شَيءٍ، وذلك حَثًّا منه صلَّى اللهُ عليه

[5] أخرجه الترمذي (2417)، والدارمي (554)، والبيهقي في ((المدخل إلى السنن)) (494) باختلاف يسير.

وسلَّمَ على الاستِعدادِ لِهذا المَوقِفِ، وإعدادِ الجَوابِ له. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "لا تَزولُ قَدَما عَبدٍ يَومَ القيامةِ" والمَعنى: لا تَتَحَرَّكُ وتَنصَرِفُ قَدَمُ كُلِّ إنسانٍ مِن مَوضِعِ الحِسابِ يَومَ القيامةِ حتى يَسأَلَه اللهُ عَزَّ وجَلَّ عن عِدَّةِ أشياءَ: "حتى يُسأَلَ عن عُمُرِه؛ فيمَ أفناه؟" عن حَياتِه وزَمانِه الذي عاشَه، ماذا عَمِلَ فيه؟ وكيف استَغَلَّ أوقاتَه؟ "وعن عِلْمِه؛ فيمَ فَعَلَ فيه؟" ويَسأَلُه رَبُّه عَزَّ وجَلَّ عن عِلْمِه الذي تَعَلَّمَه، ماذا فَعَلَ بهذا العِلْمِ؟ هل تَعَلَّمَه لِوَجهِ اللهِ خالِصًا أم رِياءً وسُمعةً؟ وهل عَمِلَ فيما عَلِمَ أم لم يَنفَعْه عِلْمُه؟ "وعن مالِه؛ مِن أينَ اكتَسَبَه؟ وفيمَ أنفَقَه؟" ويَسأَلُه رَبُّه عَزَّ وجَلَّ عن أموالِه التي جَمَعَها، أمِن حَلالٍ أم مِن حَرامٍ؟ وفيمَ أنفَقَها؟ أفي طاعةٍ أم في مَعصيةٍ؟ "وعن جِسمِه" والمُرادُ به الصِّحَّةُ؛ "فيمَ أبلاه"، وعن قُوَّتِه ماذا فَعَلَ بها؟ وفيمَ أضاعَ شَبابَه وصِحَّتَه؟وهذا إرشادٌ مِنَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لِأُمَّتِه إلى اغتِنامِ الفُرَصِ في الحياةِ؛ لِلعَمَلِ لِلآخِرةِ بِمَلْءِ الأوقاتِ بالطَّاعاتِ؛ لِأنَّها هي عُمُرُ الإنسانِ في الدُّنيا، وذَخيرَتُه في الآخِرةِ. وفي الحَديثِ: بَيانُ أنَّ لِكُلِّ عَبدٍ وَقفةً لِلحِسابِ بَينَ يَدَيِ اللهِ تَعالى. وفيه: بَيانُ صِفةِ سُؤالِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ لِلعَبدِ يَومَ القيامةِ[6].

فالسؤال لا يقف عند حدود الكسب المشروع، بل يمتد إلى **كيفية إنفاقه**: أكان وسيلة للترف، أم طريقًا لعمارة الأرض ونشر الهداية؟

[6] مَوْقِعُ الدُرَرِ السَنِيَّة، المَوْسُوعَةُ الحديثية، شروح الأحاديث.

لقد فهم الصحابة هذا المعنى، فكان منهم من بذل **كل ماله** كما فعل أبو بكر رضي الله عنه، ومنهم من جهّز جيش العسرة بأموال عظيمة كما فعل عثمان رضي الله عنه، ومنهم من أنفق عطاءه في سبيل الله كما فعل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. لم يتركوا المال يحصرهم في دائرة الأنانية والاستهلاك، بل جعلوه وقودًا لمشاريع خالدة صنعت حضارة الإسلام وانتشرت بها رسالته.

وفي عصرنا، حين يُحاصَر الخطاب الدعوي وتُقيَّد قنواته، يصبح المال أداةً حاسمة: ببناء المؤسسات، وإعداد المعاهد، وطباعة الكتب، وتمويل المنصات، وإيصال الكلمة الصادقة إلى أسماع العالمين. فالمال هنا ليس أرقامًا في البنوك، بل **مشاريع تنبض بالحياة**، وأعمال تبقى آثارها بعد أن يفنى الجسد.

إن هذا الفصل يرسم ملامح الطريق لتحويل المال من "حلم بشقة" أو "رصيد مكدّس" إلى مشاريع تورث الأجر وتبني للأمة مستقبلها. إنه دعوة للكرم مع أشرف وظيفة في الوجود: الدعوة إلى الله، ونداء لوضع نصيب معتبر من المال في ميزان هذه التجارة الرابحة التي لا تبور. فحتى من الناحية التجارية البحتة، لا بد للمؤمن أن يكون **كَيِّسًا فَطِنًا**، يرفع سقف استثماره ويوجّه ماله في المكان الصحيح، حيث يجمع بين ثمرة الدنيا وخلود الأجر في الآخرة.

إذا وفرت مالًا... لا تشتري شقة، اجعل المبلغ يشتري لك شقق.

أولًا: الرؤية الاستثمارية في عقل المسلم

المال في التصور الإسلامي أمانة ووسيلة، لا غاية في ذاته. ومن ينظر إليه بعين الإيمان يدرك أنه أداة لصناعة أثر ممتد يتجاوز حدود ذاته إلى نفع مجتمعه وأمته. قال ﷺ: »خيرُ الناسِ أنفعُهم للناسِ"[7]

ثانيًا: الفارق بين الاستهلاك والاستثمار

- **الاستهلاك** :أن يوجَّه المال إلى إشباع حاجة آنية سرعان ما تنتهي، كشراء شقة للسكن أو لتكون مجرد ملك شخصي.
- **الاستثمار** :أن يُدار المال بطريقة تدرّ عائدًا متجددًا دنيويًا وأخرويًا، كإنشاء أصل يُنمي مشاريع ويُحقق الانتفاع المستمر.

ومن هنا جاء توجيه النبي ﷺ نحو الأعمال ذات الأثر المتواصل، فقال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (رواه مسلم)

ثالثًا: التطبيق العملي – اجعل المال يُنتج بدل أن يُكدَّس

- بديلًا عن شراء شقة واحدة للسكن أو للتفاخر بالملكية، يمكن للعائلة أن تستثمر رأس المال في مشروع عقاري أو تجاري أو تعليمي أو

---

[7] أخرجه ابن حبان في ((المجروحين)) (1/2)، والقضاعي في ((مسند الشهاب)) (1234) واللفظ لهما، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (5787) مطولاً.

دعوي يدرّ ريعًا دوريًا. وبذلك يستطيعون الاستفادة من أرباحه في السكن أو غيره، بينما يظل الأصل مولّدًا للعائد.

- وفي المجال الدعوي، لا يليق أن يقف عطاء المؤمن عند نفقة عابرة، بل ينبغي أن يُنشئ مشاريع "مولّدة للحسنات"، فيبقى الخير متدفقًا بعد موته. ومن أمثلة ذلك: تأسيس وقف يُخصص ريعه لتعليم القرآن وتدبره، أو لرعاية المهتدين الجدد، أو لتأهيل دعاة جدد ينشرون نور الإسلام.

الخلاصة

حبس المال في شقة أو رصيد جامد يشبه زرعًا بلا سقي، يذبل سريعًا ولا يُثمر. أما استثماره في مشاريع نافعة، فيشبه الشجرة المباركة التي قال الله عنها:
﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: 25].

أمثلة واقعية ملهمة

1. أوقاف المسلمين عبر التاريخ

- **وقف عثمان بن عفان رضي الله عنه:** اشترى بئر رومة بالمدينة وجعله وقفًا للمسلمين يشربون منه مجانًا. بقي هذا البئر مصدر نفع

للناس عبر القرون، حتى أنه في العصر الحديث حُوّل إلى مزرعة وريعها يُصرف في أعمال البر.

- **أوقاف العلم في الأندلس والشام:** كانت هناك أوقاف تُخصّص لإعالة الطلاب الغرباء القادمين لطلب العلم، حتى لا ينشغلوا بطلب الرزق. بذلك، كان الوقف يصنع علماءً ينهضون بالأمة، وأجره مستمر إلى يومنا هذا.

2. مشروعات استثمارية معاصرة

- **مشروع "الوقف التعليمي" في السعودية والكويت:** حيث تُستثمر أموال المتبرعين في مشاريع عقارية وتجارية، ويُصرف ريعها على بناء المدارس، وطباعة المصاحف، وتمويل المنح الدراسية.
- **نماذج من الخليج:** بعض رجال الأعمال جعلوا نسبة من أرباح شركاتهم وقفًا لدعم الدعوة والإغاثة. فبدل أن يُخرجوا مبلغًا ينتهي، جعلوا الشركة نفسها "مولّدة للخير"، ما دام الربح يتجدد.

3. دروس عملية للمسلم اليوم

- إذا كان بين يديك مبلغ يكفي لشراء شقة واحدة، يمكنك أن تدخل به في مشروع عقاري تشاركي يدرّ عليك وعلى أسرتك أرباحًا شهرية. تسكن مما تجنيه دون أن تُجمّد الأصل.

- إذا كانت نيتك دعوية، يمكنك أن تؤسس وقفًا صغيرًا – ولو بعمارة صغيرة أو مزرعة – وتُخصّص ريعه لدعم مشروع قرآني أو دعوي. في هذه الحالة، أنت لا تملك "شقة جامدة"، بل تملك "آلة خير" تعمل لصالحك بعد موتك.

الصلة بالفكرة الأساسية

هذه النماذج توضّح كيف أن المال إذا جُمد في شقة أو حساب بنكي يذبل أثره، بينما إذا أُطلق في مشروع إنتاجي أو وقفي فإنه يتضاعف أثره. فالمقصود أن يتحول المال من **استهلاك قصير الأجل** إلى **استثمار طويل الأمد**، ومن **ملك شخصي محدود** إلى **عطاء جماعي ممتد**.

خريطة عملية مختصرة

كيف تنتقل من "مستهلك" إلى "مستثمر في الدعوة"؟

1. **غيّر زاوية النظر للمال**

- اسأل نفسك: هل هذا المال وسيلة لإشباع حاجة آنية فقط، أم يمكن أن أجعله وسيلة لبناء أثر ممتد؟
- تذكّر أن الشقة والسيارة والرصيد بنهاية المطاف ستزول، بينما الأجر الجاري لا يزول.

2. **قيّم خياراتك بميزان الأثر**

- ضع أمامك خيارين: شراء شقة تسكنها، أو مشروع صغير يعود عليك وعلى الدعوة بريع دائم.
- اسأل: أيهما أعظم أثرًا في الدنيا والآخرة؟

3. **ابدأ بمشروع صغير وقابل للتوسع**

- لا تنتظر الملايين. حتى لو كان رأس المال بسيطًا، اجعله يدخل في مشروع منتج (وقف صغير، شراكة في مشروع عقاري/تجاري، دعم أو تأسيس جامعة أو أكاديمية إسلامية).
- تذكّر: الوقف التعليمي الكبير في ماليزيا بدأ بمساهمات بسيطة من مئات الأشخاص.

4. **حوّل جزءًا ثابتًا من دخلك إلى "رصيد أخروي"**

- ضع قاعدة: 30% أو 40% من دخلك الشهري أو أرباحك يُخصص لمشاريع إنتاجية أو أوقاف دعوية.
- بهذا يتحول التدين من "تبرعات موسمية" إلى "تخطيط مالي دعوي مستمر."

5. **أدخل عنصر "التجديد والاستدامة"**

- لا تجعل عطاؤك دعويًا مؤقتًا.

- أسّس مشروعًا له مردود شهري أو سنوي يُصرف في قنوات الدعوة. كأن تدعم منصة إلكترونية للتعريف بالإسلام، أو وقفًا لتأهيل الدعاة.

6. **اجعل نيتك تجارية-أخروية معًا**

- حتى في التفكير التجاري، ليكن هدفك رفع سقف الاستثمار في المكان الصحيح.
- المؤمن "كَيِّس فَطِن"، يعرف أن أعظم صفقة هي التجارة مع الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: 111].

الخاتمة

هكذا ينتقل المال من كونه **رصيدًا جامدًا** إلى أن يصبح **محركًا مستمرًا للخير**، ومن كونه **شقة تُسكن** إلى أن يصبح **شققًا من الأجر تُبنى لك في الجنة**.

لا تكن بخيلًا مع أعظم وظيفة: الدعوة إلى الله

أولًا: شرف الدعوة ومكانتها

الدعوة إلى الله ليست عملًا ثانويًا أو وظيفة عابرة، بل هي أشرف وظيفة في الوجود، ورثها الأنبياء والمرسلون. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

وقد جعل الله الدعوة من أعظم أبواب القربات، فهي سبب لهداية البشر ونجاتهم، بل سبب لعمران الأرض بالحق والعدل. ومن بخل بماله عن دعم الدعوة، فقد بخل عن نفسه قبل أن يبخل عن غيره.

ثانيًا: حقيقة البخل مع الدعوة

البخل مع الدعوة لا يظهر فقط في حبس المال، بل يظهر في:

- **التثاقل عن الإنفاق**: حين يرى الداعي أو المتبرع أن إنفاقه في الدعوة "خسارة" بدل أن يراه "استثمارًا."
- **المفاضلة المقلوبة**: حيث يسخُو المرء للرفاهية والترف، ويبخل حين يُذكر بإنفاق في نشر الإسلام أو العناية بمن أسلم أو أي مشروع آخر للأمة.
- **الاكتفاء بالحد الأدنى**: كمن يتصدق بالقليل فقط لإبراء الذمة، بينما ينفق أضعافه في شؤونه الشخصية.

قال ﷺ: «بَخِيلٌ مَن ذُكِرتُ عندَه فلم يُصلِّ عليَّ» (رواه الترمذي)، وإذا كان البخل باللسان مذمومًا، فكيف بالبخل بالمال عن نصرة أعظم رسالة؟

ثالثًا: النماذج المشرقة

- **أبو بكر الصديق رضي الله عنه:** لم يترك شيئًا لنفسه في بعض المواقف، بل جاء بكل ماله وقال: "تركت لهم الله ورسوله."
- **عثمان بن عفان رضي الله عنه:** جهّز جيش العسرة بماله، فبارك الله في تجارته وقال النبي ﷺ: "ما ضَرَّ عثمانَ ما عمِل بعدَ اليَومِ" [8]
- **الأنصار رضي الله عنهم** :بذلوا المال والديار والجهد لإيواء المهاجرين، فخلّد الله ذكرهم في القرآن: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9].

رابعًا: دعوة للتوازن

المطلوب من المسلم أن يوازن بين حاجاته الشخصية ومشاريعه الدعوية، فلا يعيش منغلقًا على ذاته، ولا يستهلك كل ماله في الكماليات، بل يجعل نصيبًا معتبرًا لدعم الدعوة. حتى تجاريًا، لا بد أن يكون المؤمن كَيِّسًا، يرفع سقف الاستثمار في المكان الصحيح؛ فما يوضع في الدعوة هو الرصيد الأبقى، والمشروع الأكثر أمانًا.

[8] أخرجه الترمذي (3701)، وأحمد (20630)، والحاكم (4553) باختلاف يسير.

خامسًا: الخلاصة

إن أعظم خسارة أن يُحبس المال في دنيا فانية بينما يمكن أن يُستثمر في دعوة تُنقذ النفوس وتبني الحضارات. فالبخيل مع الدعوة بخل على نفسه من ميراث الأنبياء ومن أعظم تجارة مع الله.

الشرارة الأولى: حين يُقرِّرُ المرء أن يبدأ وحده

اصنع النجاح... واحرق السفن وعلّق الأجراس وانطلق

كفاك انتظارًا ليدٍ تُمسك بك!

إن لم تجد من حولك من يوقظ فيك شرارة الحلم، فكن أنت النار التي تضيء الدرب، واصنع أنت البداية التي يتبعها الآخرون.

كم من "دوائر دعم" بدت حانية، فإذا هي أقفاص ناعمة تقيِّد الطموح باسم الحب والحرص!

تذكّر: لا أحد سيحمل حلمك عنك، ولا أحد سيقاتل معركتك كما أنت قادر أن تقاتلها.

العلاقات الباهتة تسرق العمر في صمت، تمتصُّ وهجك حتى تصير ظلًا بلا روح.

فاهرب منها كما يفرُّ النور من العتمة، وابحث عن نفسك في الطريق... لا في الناس.

"أحرص على مجانبة المتقاعسين والبعد عن مخالطة القاعدين؛ فالمرء على دين خليله؛ فإذا بُليت بمثل أولئك فكن معهم ببدنك لا بقلبك، ولا تكترث بتثبيطهم، واحمد الله عزوجل الذي عافاك مما ابتلاهم به، من غير أن يصيبك الإعجاب بالنفس؛ فالله تعالى هو المانُّ عليك بذلك."[9]

احرق سفن التراجع، وعلّق الأجراس إيذانًا بالانطلاق، ولا تترك خلفك جسرًا إلى الهزيمة.

---

[9] انظر: الفتور الدعوي عند الشباب، عبدالله الجعيثن، ص 3.

دع قلبك يشتعل، وعقلك يخط، وقدميك تمضي.
ومن رماد التردّد ستولد من جديد – أكثر جرأة، أصدق نية، وأقرب إلى الحقيقة التي خُلقت لأجلها:
أن تصنع الحياة... لا أن تنتظرها.

يمكنك أن تغيِّر التاريخ

بيدك أن تُحدث الفارق، وتبدل مجرى الأحداث، إن صدقت النية، وأخذت بالأسباب، وجعلت الله وجهتك وسندك.

ليس التاريخ سطورًا جامدة في الكتب، بل هو مسيرة الذين قرروا أن ينهضوا حين جلس الآخرون، وأن يبادروا حين تردّد الناس.

قد تكون فكرة في رأسك، أو خطوة في يومك، أو كلمة في مجالك، لكنها حين تصدق وتُخلَص، تصبح حجر الأساس في بناءٍ يمتد لأجيال.

فابدأ، واصنع أثرًا... فمن يدري؟ لعل الله يكتب باسمك فصلًا جديدًا في تاريخ هذه الأمة.

الفصل السابع: حين تصنع الفرصة... يبدأ الأثر

الفرص ليست أبوابًا تُفتح صدفة، ولا هدايا تهبط من السماء بلا سعي. إنها حصيلة وعيٍ وبصيرة، ثم جهدٍ وصبر، ثم عزمٍ لا يلين. من ينتظر الفرص لعلها تأتيه، سيبقى متفرجًا على الآخرين وهم يصنعون التاريخ. أما من يستيقظ مبكرًا، ويطرق الحديد وهو ساخن، ويقتنص اللحظة قبل أن تفلت، فهو الذي يكتب أثره بمدادٍ لا يزول.

لقد علّمنا القرآن أن الأثر لا يُنتظر، بل يُصنع: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: 105]. وجعلنا النبي ﷺ على يقين أن بركة العمل تتجاوز صاحبه إلى من حوله، فقال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد).

هذا الفصل هو وقفة مع تلك الروح: روح صناعة الفرص بدل انتظارها. سنسير في مباحثه بين **البصيرة التي تسبق العمل، وقصص واقعية لأناس لم يستسلموا للقيود، ورؤية شمولية تجعل مشروع الفرد أكبر من ذاته ليستمر بعده.**

إنه فصل للقلوب الطموحة التي لا ترضى أن تكون حياتها عابرة، بل تبحث عن بصمة تبقى بعد الرحيل.

الفرصة لا تأتي... بل تُصنع.

أفضل طريقة للتنبؤ بالمستقبل... أن تصنعه

المستقبل لا يُكتشف... ولا يُنتظر... ولا يُهدى للمتفرجين.

المستقبل يُصنع.

الذين يجلسون يتنبؤون، غالبًا لا يفعلون شيئًا سوى شرح الفشل بعد وقوعه.

أما الذين يصنعون، فلا يملكون ترف التنبؤ... لأنهم مشغولون بالفعل.

من ينتظر الظروف المثالية، سينتظر طويلًا...

ومن يبدأ بما يملك اليوم، يفاجئ العالم غدًا.

كل مشروع عظيم كان في يوم ما فكرة غير مكتملة، في يد شخص لم ينتظر الإذن، ولا اكتمال الأدوات، ولا تصفيق المحيطين.

إن أردت أن تعرف أين ستكون بعد خمس سنوات، لا تنظر إلى الأبراج ولا التوقعات... انظر إلى **ما تفعله الآن**.

فالمستقبل ليس لغزًا غامضًا، بل نتيجة منطقية لمن قرر أن يبدأ.

واستعن بالله ولا تعجز

كثيرون يجلسون على قارعة الطريق ينتظرون "فرصة العمر"، ويظنون أنها ستطرق بابهم فجأة كما يطرق ساعي البريد. لكن الحقيقة أن الفرص لا تأتي

جاهزة؛ بل هي ثمرة جهدٍ متواصل، وتفكيرٍ واعٍ، واغتنامٍ للحظات قد يراها الآخرون عابرة.

يُعلّمنا القرآن أن المبادرة والعمل هو السبيل لصناعة الطريق: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ [الشرح: 7-8]. أي إذا أنهيت أمرًا فابدأ في آخر، فلا تترك حياتك فراغًا يتسرب من بين أصابعك.

وقال النبي ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز» (رواه مسلم). وفي هذا الحديث إشارة واضحة أن "النفع" لا يُنتظر، بل يُحرص عليه بالعمل والسعي، وأن المؤمن لا يرضى بالعجز والركون إلى الظروف.

1. الفرق بين المنتظِر وصانع الفرص

- **المنتظِر**: يظل أسير الأمنيات، يتمنى لو أن له رأس مال، أو وظيفة، أو دعماً من الناس. تمرّ السنوات، وهو بعدُ في نفس النقطة.
- **صانع الفرص**: يبدأ بما بين يديه، صغيرًا كان أو كبيرًا، ويحوّله إلى بذرة تنبت شجرة. قد يبتكر مشروعًا من فكرة بسيطة، أو يحول معاناة إلى منطلق نجاح.

2. بصيرة المؤمن في قراءة اللحظة

المؤمن يقرأ اللحظة لا بسطحية، بل ببصيرةٍ تربطه بالله. يرى في التحديات فرصًا، وفي الشدائد منطلقات. يوسف عليه السلام كان عبدًا في قصر، ثم سجينًا في غياهب السجن، لكنهما تحوّلا إلى فرصتين عظيمتين: الأولى لتعلّم

السياسة والإدارة، والثانية للدعوة والتعليم، حتى انتهى به الأمر وزيرًا في مصر.

3. خطوات عملية لصناعة الفرص

- **ابدأ من المتاح**: لا تنتظر رأس المال الكامل أو الظروف المثالية. كثير من العظماء انطلقوا من لا شيء.
- **حوّل الأزمات إلى منجزات**: في كل أزمة مخبوءة فرصة تحتاج إلى عين يقِظة.
- **استثمر علاقاتك**: الناس من حولك شبكة هائلة لصناعة الفرص إذا أحسنت التعامل معها.
- **اجعل نيتك لله**: كل مشروع يبدأ خالصًا لله، يُبارك الله فيه ويضاعف أثره.

الخلاصة

الفرصة لا تُقدَّم على طبق من ذهب، بل تُصنع بصبرٍ وعملٍ ووعيٍ بالله. والفرق بين من ترك الأثر ومن اندثر، هو أن الأول لم ينتظر أن تتغير الظروف، بل غَيَّرَ نفسه وصنع الطريق.

الوحدة القاتلة... والوحدة التي تصنع القادة

(تشخيص صادم لأغلب الأزمات النفسية المعاصرة)

أغلب ما يسميه الناس اليوم "أزمات نفسية"

ليس مرضًا...

بل **فراغ**.

وليس عقدًا عميقة...

بل **بطالة في المعنى، ووحدة في الاتجاه**.

حين يتوقف الإنسان عن العمل، يبدأ عقله في افتراسه.

وحين ينقطع عن الناس والرسالة، تبدأ روحه في الذبول.

فالفراغ ليس حيادًا... بل عدوًّا نشطًا.

الهدي النبوي كان واضحًا، واقعيًا، صريحًا:

لا تترك وقتك بلا وظيفة، ولا تترك نفسك بلا مهمة.

قال ﷺ:

»اغتنم خمسًا قبل خمس«...

فلم يكن الحديث وعظًا مجردًا، بل **وصفة نجاة نفسية وحياتية**:

الشباب، الصحة، الغنى، الفراغ، الحياة...

كلها إن لم تُستثمر تحولت إلى أعباء قاتلة.

ثم يأتي المشهد الأخير، يوم لا ينفع التبرير:

»لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع«...

عن عمره، عن علمه، عن ماله، عن جسده.

أي: عن ماذا فعلت... لا عن ماذا شعرت.

وهنا وصلتُ إلى خلاصة قاسية - أقولها لنفسي قبل غيري:

أبقِ نفسك مشغولًا... تسعد.

ليس لأن الانشغال هروب، بل لأن **الأيام الممتلئة بالعمل النافع هي أكثر الأيام أمانًا نفسيًا**، حتى لو كانت ثقيلة.

زحمة الأعمال تعلمك الانضباط، وتفرض عليك ترتيب الأولويات، وتمنحك - عند الإنجاز - جرعة كرامة لا تعطيها ألف جلسة فضفضة.

العمل لا يقتل النفس... الفراغ هو الذي يفعل.

والوحدة لا تُعالَج بكثرة التفكير... بل **بكثرة الحركة في اتجاه رسالة**.

فإن أردت سلامة قلبك: **اشغل وقتك بما ينفع، واخرج من دائرة الذات، وادخل في ميدان العطاء.**

انشغل... نعم. لكن بذكاء

ليس الفراغ وحده ما يدمرك... أحيانًا **الانشغال الخاطئ أشد فتكًا**.

أن تُرهق نفسك في كل اتجاه، أن تعمل كثيرًا بلا أثر، أن تمتلئ يومك وتفرغ روحك... هذا شكل آخر من الهلاك.

ليس المطلوب أن تنشغل فحسب، بل أن **تُصيب الهدف**.

الذكي لا يقيس نجاحه بعدد الساعات، بل بوزن النتيجة.

قليل من الجهد في المكان الصحيح خير من كثير من التعب في الاتجاه الخطأ.

اشتغل حيث تُثمر الضربة، لا حيث يُستهلك العمر.

انشغل...

لكن لا تكن أحمقًا في اختيار ما يستحق وقتك.

لا تُدلل جسدك... فالجسد إذا أُفسِد أفسد صاحبه

لا تصدق الكذبة الشائعة التي تُسوِّق باسم "الراحة." فليست كل راحة رحمة، ولا كل تعب هلاك.

الجسد الذي تُدلله يمرض، والذهن الذي تُريحه يكسل، والروح التي لا تُستَنفَر تذبل.

راحة البدن الطويلة لا تُنبت عافية، بل تُنبت خمولًا.

والجسم إذا عُوِّد على الدعة خان صاحبه ساعة الشِدَّة.

قيل بوضوح لا لبس فيه:

»لا يُستطاعُ العلمُ براحةِ الجِسم«

وهي ليست خاصة بالعلم وحده، بل بكل مجد، وكل مشروع، وكل أثر.

الجدية... سُنَّة المصلحين لا رفاهية الكسالى

في كتاب الله وصفٌ لا يُخطئه القلب: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فيه إشعارٌ بعزائمهم العالية، وهممهم السامية.

رجال... لا مترفون، ولا أبناء الفراغ.

لم يكونوا أصحاب "توازن مريح"، بل أصحاب **رسالة ثقيلة**.

من اعتاد الراحة... فاته وقت النجاة

حين يُرى المنكر، لا مجال للتمدد ولا للتأجيل. الجدية هنا نجاة، والتراخي غرق.

شَبَّه النبي ﷺ المجتمع بالسفينة: إن تُرك الخرق الصغير بحجة "لا نريد الإزعاج..." غرق الجميع.

فالعمل، والحزم، والمبادرة **حماية نفسية قبل أن تكون واجبًا شرعيًا.**

حتى الوصية... لا تؤجَّل

تأمَّل كيف علَّمنا النبي ﷺ الجدية حتى في الاستعداد للموت:

»ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوُصي فيه، يبيتُ ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده«

الرسالة واضحة: **لا تؤجِّل، لا تُراكم، لا تعِش على وهم "لاحقًا."**

كم من إنسانٍ مَدَّ خيوط الأمل... فقطعتها المنيَّة قبل أن تتجاوز قدميه.

في ميادين الصراع... لا مكان للكسل

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾

التعب ليس عذرًا، لأن العدو يتألم كما تتألم... لكن الفرق أن المؤمن **يرجو ما لا يرجون.**

والحزم هنا ليس اندفاعًا أعمى، بل وعيٌ وصبرٌ ومكيدة، كما نصح أحد الصالحين أبناءه:

المكيدة والأناة أنفع من الشدة.

طريق العلم والمشاريع... مفروش بالتعب لا بالوسائد

دع الراحة جانبًا، واجعل بينك وبين اللهو حاجبًا.

كل ساعة تمر... إما أن تضع فيها حجرًا في صرح مجدك، أو تتركها تمر فتُضاف إلى سجل الفوات.

العمل... دواء النفس الأعظم

الوحدة القاتلة ليست في قلة الناس، بل في فراغ الوقت، وخواء الهدف، وغياب الرسالة.

لا تكن عاطلًا... ولا تكن وحيدًا.

املأ يومك بما ينفع، تزاحم المهام ستعلمك النظام، والإنجاز سيُعيد لك احترامك لنفسك.

الخلاصة

الجسد الذي تُدَرِّبُهُ على الجِدّ يخدمك، والذهن الذي تُرهقه بالتخطيط يبدع، والروح التي تُكلَّف بالرسالة تحيا.

انسَ دائرة الراحة...

واصنع دائرة الأثر.

فالكسل لا يصنع قائدًا، والراحة لا تبني مشروعًا، ولا يُنال العلم، ولا العُلا، ولا الدعوة، ولا المجد **براحة الجسم.**

قصص ملهمة لمن شقوا طريقهم

القصص ليست مجرد سردٍ لأحداثٍ مضت، بل هي شعلات نورٍ تُضيء درب السالكين، وتقول لهم :يمكنكم أن تصنعوا أثرًا أعظم مما تتخيلون.

حسين الصيني: الرجل الذي حَوَّل الحلم إلى جامعات

لم يكن حسين ينتظر أن تُهدى إليه الفرص على طبق من ذهب، بل كان يخرج بنفسه ليصنعها بعرق الجبين وقوة الإيمان. حمل في قلبه وهجًا لا ينطفئ بعد أن تخرّج من الجامعة الإسلامية، وأدرك أن الأمة لا تنهض بالشعارات ولا بالخطابات، بل بمؤسسات تُخرِّج رجالًا ونساءً قادرين على حمل الرسالة.

في كل منطقة يحلّ بها، يبدأ بخطوة عملية :**عام واحد لمعهد** يعلّم فيه الأساسيات ويجمع حوله المتعطشين للعلم. ثم مع بداية **السنة الثانية يتحوّل المعهد إلى جامعة**، وتُستأنف فيه أربعة أعوام من الدراسة الجامعية، يتخرج منها المئات من أبناء المنطقة. وحين يكتمل البناء، لا يتشبث بالمكان ولا بالمناصب، بل يسلّم مفاتيح الجامعة إلى خريجيها الذين صاروا أساتذة ومديرين، ثم ينتقل إلى أرض جديدة ليعيد التجربة من جديد.

لم يكن يمكث أكثر من خمس سنوات في أي مكان: سنة للانطلاق وبذر البذور، وأربع سنوات لتخريج أول دفعة قادرة على حمل المشعل. ثم يمضي تاركًا وراءه جامعة نابضة بالحياة، شاهدة أن الإيمان يصنع ما تعجز عنه الإمكانيات.

لقد أثبت حسين أن الدعوة ليست كلمات تلقى في الهواء، بل **بذور تغرس ومؤسسات تبقى** .وأن من أراد أن يغيّر العالم لا ينتظر اللحظة المناسبة، بل يصنعها بيديه. ومن هنا، تحوّل إلى رمز حيّ أن :**الفرصة لا تأتي... بل تُصنع**.

الأخت المنغولية وخيمة التحدي

في قلب منغوليا القاسية، حيث الثلج يكسو الأرض أغلب العام، وحيث الإلحاد والتيه الروحي يخيّمان على النفوس، برز نور صغير في قلب أخت مسلمة جديدة. أسلمت في إسطنبول، ولم تنتظر دعمًا ولا مؤسسة، بل حملت إيمانها الطريّ وعادت إلى قريتها، وهي تعلم أنها ستواجه الرفض والعزلة.

طردوها من بيتها بعد إسلامها، فلم تيأس، بل نصبت **خيمة متواضعة على أطراف القرية** .هناك، وسط البرد القارس، أشعلت مدفأة صغيرة، وقدّمت الشاي الساخن مع الكلمة الطيبة، وجعلت من خيمتها منبرًا لتعريف الناس بخالقهم، ووحدانيته، وجمال الإسلام.

كانت الخيمة تبدو صغيرة في أعين الناس، لكنها في الحقيقة كانت أوسع من قلوبهم المظلمة. شيئًا فشيئًا، بدأت الأرواح تتدفأ بالحق، وبدأت القلوب تتفتح للنور. من جلسة إلى جلسة، ومن كلمة إلى كلمة، انتشر الإسلام في القرية، حتى صار **رمز الخيمة** شاهدًا أن الدعوة ليست بحاجة إلى قاعات فخمة، بل إلى إصرار صادق ودافئ.

ومع مرور الأيام، أسلم رئيس القرية نفسه، فعادت الأخت إلى قلب قريتها مكرّمة بعد أن طُردت منها، وشيئًا فشيئًا أسلمت القرية بأكملها. لقد أثبتت هذه الأخت أن المشروع الكبير قد يولد من خيمة صغيرة، وأن الأثر العظيم يبدأ بخطوة صادقة، مهما بدت متواضعة.

مشروع المليون نسخة: نصرة بالعلم لا بالغضب

حين علت أصوات الإساءة إلى رسول الله ﷺ في الغرب، لم أختر الطريق السهل: لم أرمِ الحجارة، ولم أحرق الدمى، ولم أكتفِ بالصراخ في الشوارع. بل سألت نفسي: كيف نخاطب العقول الغربية بالحجة والبرهان؟ بحثت طويلًا عن سيرة نبوية تُقدَّم لهم بلغة يفهمونها وعقلية تستوعبها عقولهم، فلم أجد.

هناك وُلدت الفكرة: أن أكتب سيرة درامية للرسول ﷺ، بلغة تحاور الغرب وتُخاطب العقل والوجدان معًا. اعتكفت على مشروع لم يكن سهلًا، وصغت السيرة بأسلوب قصصي مؤثر. ثم بدأت رحلة الطباعة في قلب

أوروبا: ألمانيا، النمسا، وسويسرا. لم تكن مطبوعات قليلة، بل إصدارات فاخرة بجودة عالية، أُلقيت بين يدي الناس في المكتبات، والجامعات، والمراكز الإسلامية.

وسرعان ما تفاعلت المراكز الدعوية، فحجزت كميات ضخمة لنشرها، حتى وصلت الطبعات إلى **مليون ومئتي ألف نسخة.**

لم تكن مجرد أوراق تُوزع، بل كانت **رسائل حياة** تدخل البيوت والقلوب. أسلم الكثير من الناس من ورائها، وتحوّلت الفكرة إلى مشروع عالمي، إذ تبنّت جمعيات ودور نشر كبرى إعادة طباعتها.

لقد أثبت هذا المشروع أن النصرة ليست في ردود الأفعال الغاضبة التي تزول مع زوال الحدث، بل في بناء جسر معرفي باقٍ يخلّد رسالة النبي ﷺ، ويحوّل الإساءة إلى فرصة عظيمة للدعوة.

الخلاصة

تُعلِّمنا هذه النماذج أن الدعوة لا تنتظر المال الوفير ولا المنصب الرفيع، بل تنطلق من قلبٍ امتلأ صدقًا، وعقلٍ تجرّد للحق، وخطوةٍ أولى جريئة. من معهد صغير صار جامعة، ومن خيمة متواضعة أضاءت قرية، ومن كتاب واحد بلغ الملايين؛ يتجلّى الدرس العظيم :أن الشرارة الصادقة قادرة أن تُشعل نورًا يبدّد عتمة أمة بأكملها.

اجعل مشروعك أكبر منك... ليبقى بعدك

إنَّ المشاريع الصغيرة التي تتوقف عند حدود الفرد سرعان ما تضمحل بغيابه، بينما المشاريع العظيمة التي تحمل بصمة رؤية تتجاوز الشخص إلى الرسالة، فإنها تخلّد الأثر وتستمر بعد رحيله.

1. من محدودية الفرد إلى سعة الرسالة

النجاح الحقيقي ليس أن تُنجز عملاً يُذكر باسمك، بل أن تبني مشروعًا يحمل روحك، لكنه لا يتوقف عليك. كم من رجال عظام ماتوا، لكن آثارهم بقيت لأنها تحولت من مبادرات شخصية إلى مؤسسات ومشاريع تُدار بالأفكار لا بالأشخاص.

2. البناء المؤسسي سرّ الخلود

المربي الواعي والداعية البصير لا يكتفي بزرع شجرة، بل يغرس بستانًا كاملاً، ويعلّم الآخرين كيف يعتنون به بعده. لذلك نجد أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يتركوا مجرد لحظة عابرة من الموعظة، بل تركوا أمة متكاملة؛ فيها التعليم والتزكية، وفيها القيادة والرسالة، فبقي الأثر ممتدًا.

3. مشاريع تبقى أجيالاً

حين ترى مدرسة تتحول إلى جامعة، أو خيمة تتحول إلى مركز إسلامي عالمي، أو كتابًا يتحول إلى مكتبات وجمعيات تترجمه وتنشره، فإنك تدرك أن

صاحب المشروع فكر منذ البداية كيف يجعله أكبر من نفسه، وكيف يربط الأجيال به بعده.

4. نصيحة للمؤمن العامل

اسعَ أن يكون مشروعك:

- **مؤسسيًّا لا فرديًّا**: حتى إذا غبت، واصل العمل طريقه.
- **رساليًّا لا شهريًّا**: حتى لا ينتهي بانتهاء المناسبة أو الضجة.
- **تربويًّا لا شكليًّا**: لأن بناء الإنسان هو أساس البقاء.

إنَّ المشاريع التي تولد صغيرة وتموت صغيرة هي مشاريع الأنا، أما المشاريع التي تبقى وتكبر فهي مشاريع الرسالة.

وهكذا نصل إلى حقيقة ساطعة: **الأثر العظيم** لا يورَّث بالحديث بل بالعمل ولا يُقاس بضخامة الموارد ولا بسطوة النفوذ **ولا يُنتظر أن يأتي صدفة، بل يُصنع بإيمان صادق وخطوات ثابتة.** لقد صنعه حسين في الصين حين حوّل الدرس الصغير إلى جامعات، وصنعته الأخت المنغولية بخيمةٍ في قلب الجليد، وصنعه المؤلف حين واجه الإساءة بالفعل بدل الانفعال، فحوّل الألم إلى مشروعٍ عالميّ.

إنها دروس تقول لنا بوضوح:

- لا تقل "لو كانت عندي إمكانيات"، فالإمكانيات تولد من الصدق والعزم.

- لا تقل "سأنتظر الفرصة"، فالفرصة لا تأتي، بل تُصنع.
- لا تجعل مشروعك بحجم عمرك، بل اجعله بحجم رسالتك.

الفرصة ليست موعدًا يُطرق بابك، بل قرارٌ تولده اليوم... وأثرٌ يبقى بعدك غدًا.

وما يبقى بعدنا ليس ما جمعناه في أيدينا، بل ما غرسناه في قلوب الناس وما تركناه لهم من هدى ونور. **ومن هنا تبدأ صناعة التاريخ، خطوة بخطوة، مشروعًا بعد مشروع، حتى يصبح العمر كله أثرًا خالدًا.**

الفصل الثامن: خارطة الطريق للمشروع المؤثر

ليست المشاريع العظيمة وليدة الصدف، ولا تنبت آثارها الباقية من مجرد أحلام أو نوايا حسنة. فالفكرة المشرقة التي لا تُصاغ في خطة واضحة، تبقى حبيسة الأوراق.

لأن في لحظات الحماسة، قد تلمع في ذهنك فكرة كأنها برق خاطف، تبشّر بانطلاقة جديدة. لكن كثيرًا من هذه الأفكار تختفي كما ظهرت، لأنها لم تجد من يرسم لها خارطة طريق.

الفكرة وحدها لا تغيّر شيئًا، كما أن الخطة على الورق التي لا تتجاوز حدود الملفات لا تخرج إلى التنفيذ لا تصنع أثرًا. إنما التأثير الحقيقي يولد حين تنتقل الفكرة إلى خطة، والخطة إلى تنفيذ، والتنفيذ إلى أثر يتجاوز صاحبه ليبقى شاهدًا حيًا بعد رحيله، لأن حتى التنفيذ، إن لم يُثمر أثرًا ممتدًا عبر الأجيال، سرعان ما يذوب في زحمة الحياة

هنا تتضح قيمة "خارطة الطريق": المسار الذي يحوّل الإلهام إلى إنجاز، والجهد الفردي إلى مشروع جماعي، والإنجاز اللحظي إلى أثر خالد.

وهنا تتجلى حكمة ابن خلدون حين قال: "الغاية من الفكر العمل "(المقدمة، ص 448). فالفكر الذي لا يتحول إلى خطوات عملية، يبقى وهمًا جميلًا لا قيمة له في التاريخ.

هذا الفصل يضع بين يديك مفاتيح العبور من لحظة الإلهام إلى أثر خالد ويأخذ بيدك عبر ثلاث محطات متتابعة:

- من **الفكرة إلى الخطة** :كيف تتشكل الرؤية وتتحول إلى مشروع مكتوب المعالم.
- من **الخطة إلى التنفيذ**: كيف تنتقل من الأوراق إلى الميدان، وتحمي مشروعك من العجز والارتجال. فكيف تحمي خطتك من التبدد وتحوّلها إلى عمل منضبط؟
- من **التنفيذ إلى الأثر الباقي**: كيف تصنع عملاً يبقى بعدك نورًا يضيء، ويواصل العطاء حتى حين يغيب صاحبه.

كل مشروع عظيم بدأ بخطوة، لكن الذي بقي وأثمر هو ما نُفّذ بوعي، ووُجّه إلى الناس، وتحوّل إلى إرث تتناقله الأجيال. فالعمر قصير، والفرص محدودة، لكن حين ترسم الطريق، وتلتزم بالسير فيه، فإنك تحوّل محدودية العمر إلى امتداد لا ينقطع.

إنها خارطة الطريق التي تحتاجها: لتصنع مشروعك المؤثر، وتكتب سطورك الخاصة في قصة الأمة.

من الفكرة إلى الخطة

الأفكار وحدها، مهما بلغت من البهاء، تبقى كالأحلام إذا لم تتحوّل إلى خططٍ واضحة. يقول بيتر دراكر، رائد الإدارة الحديثة: "الأفكار الرائعة بلا تنفيذ لا تساوي شيئًا، والتنفيذ بلا خطة هو وصفة للفشل (Drucker, *The Effective Executive*, 1967)».

أولًا: وضوح الهدف

الفكرة الناجحة هي التي تُترجم إلى هدف محدد، يمكن قياسه وتتبع أثره. أما الفكرة المجهولة الملامح، فهي أشبه بريح تهب ثم تنقضي. وهنا يظهر عمق كلمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» :ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين) «مجموع الفتاوى، 620/11 .(فالعقل الدعوي لا يكتفي باختيار "الخير"، بل يوازن بين المصالح والمفاسد ويحدد الأولويات بدقة.

ثانيًا: تحديد الأولويات

العالم مليء بالأفكار، لكن العبرة أن تميّز أيها أحق بالجهد والوقت. فليست كل فكرة صالحة للتحويل إلى مشروع؛ بل بعضها قد يكون إلهامًا شخصيًا لا يرقى إلى عمل جماعي. والتخطيط هنا هو فن الاختيار، حتى لا تتناثر الجهود في مشاريع هامشية وتُترك القضايا الكبرى.

ثالثًا: التجسيد الكتابي

الفكرة المكتوبة تكتسب حياة جديدة. الكتابة ليست مجرد تسجيل، بل عملية "تحويل" تجعل الخاطر العابر مشروعًا قابلًا للبناء والتطوير. قال المفكر مالك بن نبي: "الأفكار لا تعيش إلا إذا تجسدت في عمل." (شروط النهضة، ص 45). والكتابة هي الخطوة الأولى في هذا التجسيد.

رابعًا: الخطة جسر العبور

الخطة هي الجسر الذي يُخرج الفكرة من طور الخيال إلى أرض الواقع. بدون خطة، ستبقى الأفكار أضغاثًا تُلهب الحماسة لحظة، ثم يخبو أثرها. أما إذا وُضعت الخطة، صار الحلم مسارًا، وصارت الخطوات متسلسلة، وصار المستقبل أكثر وضوحًا.

بهذا، تبدأ رحلة الفكرة في التحول من بريق في الذهن إلى مسار عملي. فالعبرة ليست بلمعان الشرارة الأولى، بل بقدرتك على تحويلها إلى نارٍ تدفئ وتضيء وتُحرّك من حولك.

مثال ملهم: فكرة أصبحت مشروعًا غيّرت أمة

حين أراد عمر بن عبد العزيز رحمه الله إصلاح أحوال الأمة، لم يكتفِ بالأمنيات أو بالشعارات. جلس يكتب خطته الإصلاحية بعناية: ردّ

المظالم، نشر العدل، وإحياء العلم. فوضع لكل قضية خطة تنفيذية واضحة، ووزع المسؤوليات على ولاته وقضاته. لم يطل به العمر (حكم عامين ونصف فقط)، لكن أثر خطته كان عظيمًا حتى قال المؤرخون» :خرج الناس في عهده يبحثون عن مستحق للزكاة فلا يجدونه) «ابن الجوزي، المنتظم، 190/8).

هنا تتجلى العبرة: فكرة العدل الشامل لم تبقَ حلمًا، بل تحولت إلى خطة مكتوبة، ثم إلى مشروع واقعي، ثم إلى أثر خالد في تاريخ الأمة.

من الخطة إلى التنفيذ.

الخطة بلا تنفيذ كالسفينة بلا إبحار: جميلة في الميناء، لكنها لا تبلغ شاطئًا. هنا يبدأ التحدي الحقيقي، حيث تُختبر العزائم وتُقاس النوايا بالفعل لا بالقول.

أولًا: قيمة التنفيذ في الفكر الإسلامي والإنساني

المعيار لم يكن يومًا كثرة الكلام أو جمال الأفكار، بل القدرة على تحويل العلم والخطة إلى فعلٍ يُغيّر الواقع.

المجد لا يُصنع بالنيات الحسنة وحدها، بل بالأعمال التي تُترجم هذه النيات.

ثانيًا: قواعد التحول من الخطة إلى التنفيذ

1. **البدء بخطوة صغيرة**: المشاريع الكبرى لا تبدأ بانفجارات ضخمة، بل بخطوات متدرجة. كما يقول المؤرخ أرنولد توينبي: "الحضارات العظيمة لم تُبنَ بانفجار كبير، بل بخطوات متدرجة ومستمرة" (*A Study of History*, 1946)
2. **الاستمرارية قبل الكمال**: الإنجاز لا يحتاج إلى بداية مثالية، بل إلى مسيرة متواصلة. المهم أن تبدأ وتستمر، فالتصحيح والتطوير سيأتيان في الطريق.

3. **التكيف مع الواقع**: الخطة الذكية هي التي تسمح بتعديل المسار عند الحاجة، دون أن تفقد الهدف المركزي. فالثبات على الغاية مع مرونة الوسيلة هو سر البقاء.

ثالثًا: عقبات التنفيذ

- الخوف من الفشل: كثيرون يمتلكون الخطط لكنهم يتجمدون في لحظة الانطلاق.
- الانشغال بالكماليات: الانتظار حتى تتوافر الظروف المثالية يؤدي غالبًا إلى ضياع العمر بلا بدء.
- ضعف الانضباط: التنفيذ يحتاج إلى روتين يومي صارم، لا إلى حماس مؤقت.

قصة ملهمة موثوقة

مثال دعوي معاصر :**تجربة الشيخ أحمد ديدات** رحمه الله، الذي لم يبدأ بمؤسسات ضخمة، بل بمحاضرة في قاعة صغيرة أمام عمال بسيطين في جنوب إفريقيا، ثم بالاستمرارية والمثابرة تحوّل جهده إلى مؤسسة عالمية (IPCI) وملايين الكتب والمحاضرات التي أثّرت في العالم.

من التنفيذ إلى الأثر الباقي

الفكرة بلا خطة حلم، والخطة بلا تنفيذ ورق، أما التنفيذ بلا أثر فهو جهد يتلاشى مع صاحبه. **الأثر هو المحكّ الأخير** الذي تُقاس به المشاريع: كم غيّرت في حياة الناس؟ وكم بقي من عطائها بعد أن غاب أصحابها؟

أولًا: الأثر ثمرة التنفيذ

الأفكار اللامعة والخطط المحكمة تظلّ بلا قيمة ما لم تُترجم إلى واقع. التنفيذ هو الذي يرفع المشروع من خانة الأماني إلى ميدان الإنجاز، وهو الذي يجعل الأثر مرئيًا للناس ومحسوسًا في حياتهم. قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: 105].

العمل لا يُقاس بما يُكتب أو يُخطط فقط، بل بما يتحقق على الأرض ويترك بصمته في حياة الناس، وفي مسار الأمة.

ثانيًا: كيف يُقاس الأثر؟

قياس الأثر ليس ترفًا إداريًا، بل ضرورة شرعية وعملية. النجاح الحقيقي ليس في كثرة الضجيج الإعلامي، بل في النتائج الملموسة. ومن أبرز معايير قياس الأثر:

- كم غيّر المشروع في وعي الناس وسلوكهم؟

- هل استمر أثره بعد صاحبه أم تلاشى بغيابه؟
- ما الثمار الواقعية التي نتجت: إسلام جديد؟ شباب متعلم؟ جيل مستبصر؟

بهذا يصبح النجاح متوازنًا بين **أثر دنيوي مشهود وأثر أخروي خالد**، يجمع بين «الصدقة الجارية» و«العلم النافع» و«الولد الصالح» التي أخبر عنها النبي ﷺ.

ثالثًا: ضمان استمرارية المشروع

من أخطر ما يهدد العمل الدعوي أن يبقى مربوطًا بشخص واحد؛ فإذا غاب، غاب المشروع معه. أما المشاريع الراسخة فهي التي تُبنى على:

- **المأسسة** :وضع نظام داخلي يحفظ المشروع من الارتجال.
- **تدريب الخلف** :إعداد جيل يتسلم الأمانة ويطوّرها.
- **التوثيق** :تسجيل التجربة ونشرها ليستفيد الآخرون.

التوريث الدعوي... ضمان الأثر الباقي

من أعظم ما يحفظ المشروع من الذبول أن يُفكَّر فيه بمنطق **التوريث الدعوي** .فالأعمال إذا بقيت معلقة بصاحبها توقفت بغيابه، أما إذا جرى توريثها فقد استمرت. وقد لخّص د. محمد بن موسى الشريف هذه الفكرة

بقوله» :قضية التوريث في العمل الإسلامي تعني أن يقدِّم السابق للاحق خلاصة تجاربه، ليبدأ اللاحق من نقطة انتهاء السابق.«

التوريث الدعوي يعني:

- أن يُعِدّ الداعية خلفًا يحمل الأمانة بعده.
- أن يوثّق التجربة لتتحول إلى منهج يستفيد منه غيره.
- أن يُنشئ لوائح واضحة تنظّم المشروع حتى لو غاب القائد المؤسس.
- أن يُورّث لا المال ولا الشهرة، بل العلم، والروح، والعلاقات، والشبكات.

بهذا يتحول المشروع من جهدٍ فردي محدود العمر، إلى أثرٍ ممتدّ الأجيال، يخلّد صاحبه ويجعل بركته دائمة.

قصة عبدالعزيز التويجري رحمه الله

حين بدأ الشيخ عبدالعزيز التويجري عمله الدعوي في السعودية، لم يكن يملك مؤسسة كبرى ولا موارد ضخمة، بل مجرد مبادرة صغيرة في بعض الأحياء للتعريف بالإسلام. لكن سرعان ما تطورت الفكرة؛ إذ تحولت المبادرة إلى **مكاتب للجاليات** تستقبل غير المسلمين، وتعرّفهم بالله ودينه، وترافق من يدخل الإسلام في خطواته الأولى.

لم يتوقف عند جهد فردي أو عطاء لحظي، بل وضع نظامًا مؤسسيًا، وأعدّ أجيالًا من الدعاة، ودرب عشرات العاملين، حتى لم يعد العمل مرتبطًا بشخصه، بل صار منظومة مستقلة. والنتيجة أن هذه المكاتب انتشرت في كل مدينة تقريبًا، وصارت بالمئات، وأسلم على أيديها **الملايين من الناس** من مختلف الجنسيات.

لقد ترك الشيخ عبدالعزيز التويجري نموذجًا خالدًا لكيفية تحويل المبادرة الفردية إلى **إرث دعوي متوارث**، لا يتوقف برحيل المؤسس، بل يستمر بجهود من حملوا الراية من بعده.

الخاتمة

التنفيذ هو لحظة الحقيقة، لكن الأثر الباقي هو معيار النجاح. وكل مشروع لا يُفكَّر فيه على أنه **رسالة ممتدة بعد صاحبه** يظل ناقصًا مهما بدا ضخمًا. أما المشروع الذي يُنفَّذ بإتقان، ويُؤسَّس ليستمر، ويُورَّث للأجيال، فهو الذي يحقق معنى الخلود، ويجمع بين النجاح في الدنيا والنجاح في الآخرة.

الشرارة الأخيرة... البداية الأولى

وهكذا نصل إلى ختام هذه الرحلة... رحلة الأفكار التي تحولت إلى خطط، والخطط التي تجسدت أعمالًا، والأعمال التي صارت أثرًا خالدًا.

لكن تذكّر: ما قرأته هنا ليس سوى خارطة طريق، أما السير في الدرب فوظيفتك أنت. الأفكار إن بقيت حبرًا على ورق فهي أحلام، وإن تحولت إلى خطط بلا فعل فهي أماني، أما إن خُطت في الميدان بعرقك وصبرك وصدق نيتك، عندها فقط تولد الإنجازات وتبقى آثارها بعدك.

لقد أراد هذا الكتاب أن يضع بين يديك المفتاح، لكن فتح الباب لا يفعله إلا قلبك، وعقلك، ويدك.

لا تنتظر الفرصة أن تطرق بابك؛ اصنعها أنت.

لا تقل "ليس عندي مال أو وقت أو قوة"؛ فقد أثبت التاريخ أن كل مشروع عظيم وُلد من بذرة صغيرة، ثم كبر بالصبر والمثابرة.

إن الدعوة إلى الله هي أشرف وظيفة في الوجود، وكل ما تنفقه فيها من جهد أو وقت أو مال فهو استثمار لا يخسر أبدًا، بل يضاعفه الله في الدنيا ويجزيك به في الآخرة.

العمر أقصر من أن يضيع في تفاصيل صغيرة، وأعظم من أن يذوب في هوامش لا تُذكر.

فكن أنت الشرارة التي تشعل نورًا، واللبنة التي تُبنى عليها جدران الأمل، والإنسان الذي لا يمر على الأرض مرور العابرين.

لقد وضعت يدك الآن على الخريطة... والقرار بيدك:

إما أن تبقى قارئًا سلبيًا، أو تتحول إلى صانع للأثر.

المصادر

1) القرآن الكريم
2) صحيح البخاري
3) صحيح مسلم
4) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1419هـ - 1998م
5) مَوْسوعَةُ الأَخْلاقِ والسُّلُوك، إِعْدادُ: مَجْموعَةٌ مِنْ البَاحِثِينَ بِإِشْرافِ الشَّيْخِ عُلْوِيّ بْنِ عَبْدِ القادِرِ السَّقّافِ، مَطْبوعٌ وَمَنْشورٌ عَلَى مَوْقِعِ اَلْدُّرَرِ السَّنِيَّةِ عَلَى الإِنْتَرْنِتْ.
6) المَوْسُوعَةُ الحديثية، شُرُوحُ الأحاديث، إِعْدادُ: مَجْموعَةٌ مِنْ البَاحِثِينَ بِإِشْرافِ الشَّيْخِ عُلْوِيّ بْنِ عَبْدِ القادِرِ السَّقّافِ، مَطْبوعٌ وَمَنْشورٌ عَلَى مَوْقِعِ اَلْدُّرَرِ السَّنِيَّةِ عَلَى الإِنْتَرْنِتْ.
7) موسوعة الدعوة، الدعاة: المفهوم والأهمية، للشيخ الدكتور محمد العواجي.
8) موسوعة نَضْرَةِ النَّعِيمِ فِي أَخْلاقِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ.
9) الأَخْلاقِ الإِسْلامِيَّةِ لِعَبْدَالَرَحْمَنْ حَبَنْكَةَ المَيْدانِيّ.
10) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، الناشر: دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ.
11) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط1، 1418هـ.
12) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ.
13) جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ.
14) جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
15) حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2010م.
16) كتاب شرح صحيح ابن خزيمة الراجحي

فهرس المحتوى

إلى شرارات تصنع الأثر..... 3

إعلان حالة طوارئ 5

اتفاق شرف مع القارئ..... 7

هذا الكتاب خارج المألوف... انظر ماذا ينتظرك:..... 8

الفصل الأول: لا تنتظر الإشارة... تحرّك الآن 9

الميدان يناديك... والخطوة الأولى بيدك..... 11

إلى متى تنتظر؟..... 13

كسر دائرة التسويف والاعتياد 13

الوظيفة تعني الحكم على نفسك بالفقر إلى الممات. 15

الفصل الثاني: بادر... وارفع سقف طموحاتك..... 17

انسَ أفكارك إن لم ترفع السقف 19

ارفع كلفة أحلامك... المشاريع الصغيرة تموت قبل أن تبدأ. 23

فكّر كالأمم... لا كالأفراد..... 25

الفصل الثالث: من الوحدة إلى الريادة..... 29

ابدأ وحدك... وسينضم إليك الآخرون. 31

النهضة تبدأ بخطوة يتيمة..... 32

أثر الخطوة الجريئة: لماذا يلتف الناس حول من يملك الجرأة على البدء؟..... 34

حين يتحول جهدك إلى تيار..... 38
الفصل الرابع: كسر القيود المصطنعة..... 41
هل تصنع المسار... أم تسير مع القافلة؟..... 42
المدرسة والشهادة... بين الواقع والوهم..... 46
لا تجعل التعليم يسرق أجمل سنوات عطائك..... 52
الفصل الخامس: استراتيجيات القيادة الشخصية..... 56
استيقظ مبكرًا... وضع الأهم فالمهم أولًا..... 56
الرياضة مقبرة للطاقة..... 60
من الفوضى إلى النظام: تحويل الحماسة إلى مشروع منضبط. 65
الفصل السادس: استثمار المال لصناعة الأثر..... 73
إذا وفرت مالًا... لا تشتري شقة، اجعل المبلغ يشتري لك شقق..... 76
لا تكن بخيلًا مع أعظم وظيفة: الدعوة إلى الله..... 82
الشرارة الأولى: حين يُقرِّرُ المرء أن يبدأ وحده..... 85
اصنع النجاح... واحرق السفن وعلّق الأجراس وانطلق 85
يمكنك أن تغيِّر التاريخ..... 87
الفصل السابع: حين تصنع الفرصة... يبدأ الأثر..... 88
الفرصة لا تأتي... بل تُصنع..... 89
الوحدة القاتلة... والوحدة التي تصنع القادة..... 92

لا تُدلل جسدك... فالجسد إذا أُفسِد أفسد صاحبه 95
قصص ملهمة لمن شقوا طريقهم 99
حسين الصيني: الرجل الذي حَوَّل الحلم إلى جامعات 99
الأخت المنغولية وخيمة التحدي 100
مشروع المليون نسخة: نصرة بالعلم لا بالغضب 101
اجعل مشروعك أكبر منك... ليبقى بعدك 103
الفصل الثامن: خارطة الطريق للمشروع المؤثر 106
من الفكرة إلى الخطة 108
من الخطة إلى التنفيذ 111
من التنفيذ إلى الأثر الباقي 113
الشرارة الأخيرة... البداية الأولى 118
المَصادِر 120
فهرس المحتوى 121
العشرون شرارة... وانفجار العزيمة 124

العشرون شرارة... وانفجار العزيمة

1

لا أحد يأتي لينقذك.

هذه ليست قسوة... هذه الحقيقة التي تصنع الرجال.

2

كل يوم تؤجِّل فيه قرارك

تدرِّب فيه الخوف ليصير أقوى منك.

3

الراحة التي لم تُتعب نفسك لأجلها ستتعبك أعمارًا.

4

كان شيخ الإسلام ابن تيمية يسعى في حوائج الناس سعيًا شديدًا، لأنه أدرك معادلة لا تخطئ: **أعن... تُعان.**

من جعل نفسه جسرًا للخير، جعل الله له ألف طريق.

5

الأحلام لا تموت فجأة، تموت جرعةً جرعة اسمها: "سأبدأ لاحقًا."

6

إن لم يحرقك شغفك اليوم، ستحرقك الحسرة غدًا.

7

الطريق لا يُفتَح للمترددين، بل يُشقُّ بأقدام المجانين بالمعنى النبيل.

8

لا تنتظر وضوح الرؤية كاملًا... ابدأ، وسيتضح الطريق وأنت تمشي.

9

العذر الذي تُقنع به نفسك هو السكين التي تطعن بها مستقبلك.

10

أقسى خسارة أن تعيش عمرًا كاملًا وأنت تعلم أنك كنت تستطيع أكثر.

11

الخوف لا يختفي بالانتظار، يختفي بالاصطدام.

12

كل إنجاز عظيم بدأ بشخص واحد قال: **سأتحمَّل الثمن.**

13

الناس لا تتبع المتكلمين... تتبع الذين تحرَّكوا أولًا.

14

إن أردت حياة مختلفة توقَّف عن تكرار نفس اليوم.

15

بعض القرارات إن لم تُؤخذ بشجاعة تُؤخذ بحسرة.

16

تألَّمت... فتعلَّمت... فتغيَّرت. وهكذا تُصنع القامات، لا بالراحة، بل بالعبور.

الحياة نعمة تحتاج شكرًا لا شكوى. والمصاعب تدريب تحتاج صبرًا لا هروبًا.

17

الوقت لا يرحم، لكنه يكافئ من يجرؤ.

18

لا تُخلق العظمة من الراحة، بل من الاحتكاك، والتعب، والاختيار الصعب.

19

إن لم تصنع لك مكانًا في العالم، ستعيش ضيفًا على أحلام غيرك.

20

انهض الآن. ليس لأنك مستعد... بل لأن الاستعداد الحقيقي يولد بعد الخطوة الأولى.

الخاتمة – انفجار العزيمة

الآن... لم يعد لديك عذر. ولا مبرِّر. ولا رفاهية الانتظار.

أغلق هذا الكتاب وافتح طريقك.

ابدأ بما تملك، من حيث أنت، وبما تستطيع... وسيتكفَّل الله بالباقي.

لقد حان وقتك: توكل على الله